ضائعة فى دهاليز الذاكرة

اســـــم العمـــــل	**ضائعة فى دهاليز الذاكرة**
النـــــــــــوع	رواية
تـــــــــــأليف	آية ياسر
تصميم الغـــلاف	عبد الحكيم صالح
إخـــراج داخلـــى	عبد الحكيم صالح
الطباعـــــــــة	مطبعة أتيليه تاتش – المحروسة
الناشـــــــــــر	**الدار للنشر والتوزيع**
المـــــدير العـــــام	**محمد صلاح مراد**
تليفـــــــــــون	**٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧**
بريد إلكترونـــــى	eddar_press@yahoo. com
الموقع على الإنترنت	www. geocities. com/eddar_press
رقـــــــم الإيـــداع	٢٠١٤/٨٩٨٦
التـــرقيم الـــــدولى	978 – 977 – 702 – 065 - 7

ضائعة فى دهاليز الذاكرة

رواية

آية ياسر

الدار
للنشر والتوزيع

إهداء

" إلى كل من علمني حرفاً"
أو ساعدني يوماً" على اجتياز أمواج الحياة
المتصارعة لأصل إلى بر الأمان إلى كل من
أهداني سراجًا ينير لى الطريق
وإلى كل من أحبني بصدق وتمنى لي النجاح
أهدي لكم هذا الكتاب .. "

نهلة

أسبح بعقلي بعيدًا فى الفضاء اللامتناهي فأنسى حدود الزمان والمكان .. أضيع فى دهاليز الذاكرة المظلمة بينما أحاول اجتياز سراديبها المغلقة، ولكن سرعان ما يبتلعني الظلام فى جوفه وأجدني محاصرة بين أشباح عمالقة يتربصون بى .. فأسقط فى متاهات الظلمات اللامتناهية .. أتوه بين وجوه كثيرة وأشياء متباينة باحثة عمن ينتشلني من براثن الضياع ويمد لى يد العون فيخلصني من السقوط فى بئر النسيان السحيقة ..

****

أجلس على فراشي شاردة أحدق فى السماء وأراقب الثريا المتناثرة فى الفضاء الشاسع كلآليء مضيئة يهتدي على أثرها عابرو السبيل. ألمح فجأة شهابا لامعا يهوي بسرعة من السماء التى تبدو اليوم صافية على غير العادة فأنا أقطن مع أسرتي فى ڤيلا بالساحل الشمالي تواجه البحر مباشرة .

أستجمع أشلاء وبقايا ذكريات ضبابية مشوشة لا أدري هل حدثت لى حقيقة أم أنها كانت محض أضغاث أحلام لا أكثر ولا أقل . ؟!

أرى مشهدا كثيرا ما يطاردنى لشخص طريح على الأرض غارق فى دمائه . أشعر و كأنني أعرفه جيدا لكني مع ذلك لا أذكر من هو بالضبط؟! و لا أتذكر ملامحه بدقة . وفى أحيان آخرى آراني فى أحضان شاب لم أتبين من هو؟! ولا أين نحن بوضوح ؟!

كل ما أذكره عن حياتي أشباح و خيالات ومشاهد ضبابية ولك أن تتصور أن تحيا حياة كتلك ؛لا تذكر أي شيء عن ماضيك و لا تعرف إذا كانت تلك الذكريات القليلة حلمًا أم حقيقة ؟!

أفقت فجأة لأجد نفسى فى مستشفى لم أعهدها من قبل وسط دهشة الممرضات اللاتي أسرعن للنداء على الأطباء ليزفوا إليهن الأنباء السارة ووجوههن لم تخل قط من إمارات الدهشة الممزوجة بالفرح .

ولم أكن أقل منهن دهشة فأنا لم أعد أفهم شيئا مما يدور حولي . لم يمض الكثير حتى اصطدمت عيناي السابحتان فى ملكوت الله بامرأة ورجل فى خريف عمرهما وبصحبتهما امرأة شابة تحمل طفلا رضيعًا.. شعرت وكأنني رأيتهم من قبل ولا أذكر أين؟!

أخذت المرأة التى تبدو على مشارف الأربعينيات من عمرها تضمني و تلثم وجنتيّ وهي تقول :-

- "نسرين .. نسرين بنتي ..الحمد لله إنك فقتي . يا حبيبتي يابنتي وحشتيني يا ضنايا . "

صرخت فى وجه الجميع قائلة :-

- أنا مين؟! وانتو مين ؟! أنا أيه اللي جابنى هنا ؟!... ردوا ساكتين ليه ؟!

صرخت وصرخت بهستريا . أشعر بأني فى كابوس لابد أن أصحو منه . دنا مني أحد الأطباء وأمسك بذراعي وحقنني بمهديء فاستسلمت بعده لنوم عميق . فى حقيقة الأمر لم أنم فحسب بل غبت عن الوعي لأسبوع كامل . عندما أفقت حاول الأطباء تشخيص حالتي ومساعدتي على فهم ما حدث لي . عرفت أنني أدعى " نسرين يوسف " تجاوزت الرابعة والعشرين من عمري.

أخبروني بأنني أصبت فى حادث سير منذ خمس سنوات وبقيت معلقة بين الحياة والموت فى غيبوبة طيلة السنوات الخمس الماضية. كانت حالتي مستعصية و انقطع الرجاء فى شفائي وعودتي للحياة من جديد فكثيرًا ما فكر الأطباء فى نزع الأجهزة عنى إلاّ أن أهلي رفضوا ذلك بشكل قاطع وتعلقوا بحبال الأمل

الذائبة وحين أفقت كنت فاقدة للذاكرة تماما ومصابة بانهيار عصبي حاد .

بصعوبة بالغة تذكرت أن تلك الأسرة التى زارتني هي أسرتي ولكن أكثر ما أثار عجبي هو أن " راندا " أختي الصغرى قد تزوجت و أنجبت ذلك الرضيع " لؤي " .

مضى الآن شهر تقريبا على عودتي إلى المنزل ولكني أشعر وكأن كل شيء ليس على ما يرام .. النسيان ينهش بمخالبه الحادة فى ذاكرتي الخربة غير آبه بتوسلاتي.. أستجدي الذكريات لعل قلبها يرق لحالي ويشفق علي .

لا أذكر شيئا عن حياتي السابقة ؛ أتعاطى أدوية منشطة للذاكرة والكثير من المهدئات ورغم هذا كثيرا ما تنتابني حالات انهيار عصبى أو أبكي بشكل هستيري كما حدث منذ أسبوعين.. زارتني فتاة فى مثل عمرى تدعى " ريم " بدت مألوفة لى كثيرًا .. أتفحص بعناية أنفها الدقيق وفمها الصغير وشعرها البني المسترسل الذى توج جمالها الهادىء .. عيناي تقعان على قميصها الوردي وتنورتها المزركشة .. عرفت منها أنها كانت زميلتي بالكلية، أننا صديقتان حميمتان وأعطتني صورًا لنا حين كنا فى

الرحلات التى تنظمها كليتنا . أخذت أتذكر شيئًا فشيئًا؛ ولكن حينما اصطدمت عيناي بإحدى الصور إذ بي أرى ذلك الشاب الذي يلازمني فى أحلامي وخيالاتي .. إنه نفسه الذى يقف إلى جواري في تلك الصورة . أتذكر بوضوح مشاهد عديدة يتحدث فيها إليّ .. أبكي ويضمني بقوة إلى صدره الحنون .. وفى مشهد آخر يراقصني .. يحملني بين ذراعيه .. شخص يطلق الرصاص علينا .. السيارة التى صدمتني أراها بوضوح لونها أسود بل أذكر جيدا ملامح سائقها .

الأفكار تتزاحم بجنون فى رأسي .. أتأرجح بين كفتيّ الاحتمالات .. الأرض تدور من حولي .. ينتابني صداع حاد يكاد يفتك بي . أشعر بأن رأسي سينفجر .أصرخ و أبكي بهستيريا حتى تتصل أمى بالطبيب الذى أتي مهرولا ليحقني بمهدىء أخلد بعده إلى سباتٍ عميق .

انقلبت حياتي رأسًا على عقب منذ ذلك اليوم . بت أرى الكوابيس المفزعة و أرى نفسي في أوضاع مشينة فاضحة و أستيقظ من نومي وأنا لا أدري أحدث ذلك بالفعل ؟! . أم لم يحدث وتلك محض أحلام ؟!. أخشى بل أخجل أن أقصّها على أحد لأعرف

حقيقتها . أصررت على الفهم فلم أجد أمامي سوى الاتصال بصديقتي القديمة " ريم " التي تركت رقم هاتفها لأمي . جائت لزيارتي مجددًا و جلسنا في حديقة منزلي وفي مواجهتنا البحر .. روائح البحر الممتزجة بعبير أزهار النرجس والقرنفل وأريج الفل والياسمين تداعب أنفي وتدعوني إلى الاسترخاء .. أنفي يلتقط رائحة ذكية استطعت بسهولة تمييز مذاق الشواء اللذيذ فيها .. يبدو أن أمي تعد وليمة من أجل صاحبتي ..

أخبرتني تلك الصديقة أنها كانت تفتقدني كثيرًا وأن الجميع يظن أنني مت؛ وأضافت أنها تخرّجت منذ أعوام و تمت خطبتها و أنها سوف تزف بعد شهر من اليوم إلى خطيبها؛ وقبل أن تنسى دعتني إلى حفل زفافها .

ساد صمت ثقيل بيننا لبعض من الوقت؛ كانت كلتانا تمعن النظر فى ملامح الآخرى ربما لأنها تخشى ألاّ تراها مجددا ولأنها لم تتخيل أنها سيتسنى لها مقابلة رفيقتها ومجالستها مرة آخرى .. قطعت رتابة الصمت حين سألتها عن صاحب الصورة الذي يقف إلى جواري بها . شردت قليلا حتى بدت لي للحظات وكأنها هائمة على وجهها فى ملكوتٍ آخر .. ارتسمت على صفحة وجهها

النضر تعبيرات عجز عقلي عن تفسيرها .. وفي غفلة منها لمحت في عينيها دمعتين ترقرقتا فأخذت أكرر سؤالي حتى أجابتني بتردد قائلة :-

- نسرين أرجوكِ تقفلي الموضوع ده .

كررت السؤال وألححت عليها كثيرا حتى قالت :-

- ده " سعد " . أنتِ و هو كنتوا بتحبوا بعض و مرتبطين لحد ما.....

أخذت أصرخ في وجهها باكية :-

- لحد ما أيه ؟.... كملي . أوعي يكون هو ده ؟ هو اللي باحلم بيه غرقان في دمه . ماتقوليش إن ده حصل .... يعني مات ؟ ... يعني كل اللي بحلم بيه و بفتكره حصل لي فعلا .

أومأت برأسها فانهرت مجددا ودارت الارض بي .. كانت الذكريات تتلاحق على مخيلتي بسرعة البرق و أخذت أتذكر أشياء كثيرة .....

- أنا " نسرين " .

- و أنا " سعد " .

أتذكر أنني كنت أسبح في البحر حين شعرت به يتسلل سابحا ورائي حابسا أنفاسه .. يتحسس ظهرى بطريقة أشعلت النيران بداخلي .. يلثم رقبتى برفق . وألتفت إليه ضاحكة فيقبلني ..

أنا و" سعد " نركض مسرعين في مكان مظلم وناءٍ ... وفي مشهد آخر أبكي بحرقة وهو يضمني و يجفف دموعي .

بعدما انتهى الطبيب النفسي من جلسته معي التفت إلى أمي وأبي مخاطبا :-

- واضح إن المريضة بدأت تفتكر. بس لازمها وقت علشان تستعيد ذاكرتها و يمكن ذاكرتها ما ترجعتش بالكامل .

ثم اصطحبهما خارج غرفتي التى أخذت تحاصرني بجدرانها الكئيبة وتطبق على أنفاسي حتى كدت أختنق وأوصدوا الباب خلفهم ليتركوني غارقة في ظلمات حيرتي و معاناتي اللانهائية.. إذًن أنا كنت على علاقة بشخص يدعى " سعد " ولكن كيف انتهت بهذه النهاية المأساوية ؟!.

أخذت أبكي عندما تذكرت حالته المزرية . إنتابني شعورٌ قويٌ بأن وراء وفاته سر غامض وأنه لم يمت هكذا فحسب ..!

مخاوفي تتزايد يوما بعد يوم وتصنع إكليلا من الشوك فوق رأسي، وهواجسي المجنونة تلاحقني كالظل وتتربص بي لتنقض على عقلي وتلتهم ما تبقى منه ..

سألت أمي مرارًا عن أشياء لا أفهمها أو لا أذكرها ؛ لكنها كانت تهرب مني وتراوغني أحيانًا و تكذب عليّ أحيانًا آخرى .
أمي التى زحف الشيب إلى رأسها رغم أنها لم تتجاوز منتصف الأربعينيات من عمرها إلاّ أن العين لا تخطيء الخرائط التى رسمها الحزن على صفحة وجهها .. حين أواجهها ببعض تساؤلاتي فإنها تحاول جاهدة أن تخفي عني أحزانها خلف شبح ابتسامة باهتة وتخونها دموعها فى كل مرة فتفضح مكنونات صدرها ..
أعطتني ردودا مقتضبة وبعد طول عناء عرفت منها أننا كنا نعيش بالكويت حتى انتهيت من دراستي الثانوية و اضطررت للسفر إلى الأسكندرية لألتحق بجامعتها والسكنى بمفردي لعام ونصف فى شقتنا القديمة التى تقع فى بحري قبل أن يأتي أهلي فجأة للعيش معي ولم تخبرني لماذا عادوا إلى أرض الكنانة فجأة بعد غياب دام أكثر من عام ونصف !!.

****

ألححت على أمي كثيرا قبل أن تأذن لى بالذهاب إلى حفل زفاف صديقتي " ريم " . كنت قد انتهيت من وضع اللمسات الأخيرة من

مكياج السهرة . أنظر إلى المرآة لأتأكد من هندامي . أبتسم ابتسامة خبيثة عندما ألمح ظهري و ذراعيَ العاريين . ألبس حذائي الفضي وأحمل حقيبة اليد ثم أطفأ أنوار الغرفة قبل أن أوصد الباب خلفي و أهبط الدرج إلى باب الڤيلا .

عندما وصلت إلى حفل الزفاف لم أكن أعرف أحدًا هناك لذا عقدت العزم على أن أهنيء العروسين وأغادر القاعة لأعود أدراجي . وحين سمعت صوت الطبول والمزامير تعلن عن قدوم العروسين نهضت من على كرسيَ قاصدة مدخل قاعة المناسبات حيث يزف العروسان . حين وصلت إلى هناك وجدت حشود المدعوين يصفقون ويرقصون فرحين .

بدت "ريم" فاتنة فى ثياب العرس وزينتها البسيطة وتصفيفة شعرها الجميلة .. لم تفلح كثيرا فى إخفاء ارتباكها خلف الابتسامة التى ارتسمت على ثغرها الأخاذ .. حمرة لطيفة صبغت وجنتيها فزادتهما جمالا .. توجهت لتهنئتها فتهللت أساريرها وبدت أقل ارتباكا ..

فاجأتني سيدة حامل تصرخ بفرحة عارمة لم تخل قط من الدهشة وتخاطبني قائلة :-

- نسرين !! .. أنتِ نسرين ؟! .. مش ممكن .

أخذت أحملق فيها مندهشة وتساءلت قائلة :-

- حضرتك تعرفينى ؟!

أجابتني واثقة :-

- طبعا عرفاكِ !.. أنتِ مش فكرانى ؟! . أنا " مها " صاحبتك من أيام الكلية .. الحمد لله على سلامتك متعرفيش قد أيه فرحت لما عرفت إنك قومتى بالسلامة بس متزعليش مني علشان مجيتش أزورك والله كان غصب عنى .

اصطحبتني " مها " لأجلس معها وأخذت تحكي لى الكثير عن حياتها وعن زوجها الذي طلقها بعد زواج دام أكثر من أربع سنوات أنجبت فيها منه طفلتين وهي الآن حبلى فى شهرها الرابع.

ظلت تثرثر كثيرا قبل أن أبدأ فى تذكرها بالفعل.

يبدو أنها تغيرت بعض الشيء عن ذي قبل؛ فجسدها أصبح أكثر إمتلاءً وقد غطت شعرها الطويل بغطاء للرأس بني اللون؛ ولكنها لاتزال محتفظة بروح الدعابة التى تميزها؛ كما لم تتغير بشرتها المائلة للاحمرار والتى تزيد من جمال شفتيها المكتنزتين البارزتين بإثارة بالغة واقد صبغتا بأحمر الشفاة بعناية .. وزاد من

إغرائها عيناها العسليتان الفاتنتان اللتان اشتهرت بهما "مها " بين الأصدقاء وطالبات الجامعة ..

****

أجد نفسي فى صحراء شاسعة وقد أسدل الليل أستاره وهبط الظلام وخيّم سكون مريب . أسير وأسير ولا أصل إلى العمار .. كأنني أبحث عن شيءٍ مجهول .. أشعر بالتعب والإرهاق فأجلس على صخرة لإرتاح من عناء رحلة البحث ثم أنهض فزعة عندما أسمع عواء ذئب . ألمحه يقترب إنه ليس بذئب واحد ولا باثنين بل كانوا ثلاثة أو ربما أكثر . تسمرت قليلا فى مكاني قبل أن أركض هاربة فى تلك الصحراء الشاسعة التى لا يدري غير الله متى تنتهي وأين ؟ كادت أنفاسي أن تنقطع ولم أصمد طويلا .

أجد نفسى محاصرة وسط مجموعة من الذئاب جميعها على أهبة لالتهامي . وقبل أن يفترسني أحدهم أسمع دويّ رصاص فتبتعد عني الذئاب و أرى شبحا يتراءى لي فى الأفق لرجل من البدو لم أتبين ملامحه من شدة الظلمة . عندما دنا منى بناقته ترجّل وخطا نحوي فشكرته لإنقاذه لحياتي . ولكنى تفاجأت حين صرخ فى وجهي قائلا :-

- أنتِ أيه اللي جابك هنا ؟! .

أجبته وملامحي لم تخل من الدهشة :-

- مش عارفة أنا فجأة لاقيت نفسى هنا وبعدين ... لحظة . هوه أنت تعرفنى ؟!.

رفع غطاء الرأس البدوي واقترب مني حتى تبينت ملامحه ثم أمسك بيدي قائلا :-

- أنا " سعد " يا حبيبتى .. الحمد لله إنك كويسة ..

مش عارف أيه اللي كان ممكن يحصل لى لو بعيد الشر حصل لك حاجة وحشة؟!! .

دقات قلبي تعزف سيمفونية مرحة يتراقص على ألحانها الجنونية قلبانا اللذان أثملتهما نشوة الحب فأخذا يحلقان بخفة فى سماوات العشق البريء وكلما ارتقينا احترقنا بحرارة الشوق فنلوذ بسحاب الأمل نستظل به لعلنا نحظى بشيء من السلوى .. فى تلك اللحظات ننسى حدود الزمان والمكان وتتوحد روحينا فنصير كيانا واحدا ..

كم أفتقده ؟ .. اشتقت إليه حتى الموت .. أتدلل عليه لعلي أطفيء بعضا من نيران شوقي أو أروى شيئا من ظمأي إليه قائلة :-

- بتحبنى يا سعد ؟

- أنا بعشقك . أنتِ قلبي وروحي وعنيا وأغلى حاجة عندي.

- إوعدني إنك ماتسيبنيش أبدا.

سعد يشرد قليلا ثم يضمني إليه بقوة تبعث بالحياة فى جسدي خائر القوى .. تسود لحظات تشبه سكون الموتى يخترقها هو ممازحا إياي ..

(تلألأت على ثغر " نسرين " ابتسامة ساحرة حتى ظهرت أسنانها البيضاء اللامعة فى ضوء القمر . وجعلتها أحضان " سعد " الدافئة تشعر بالطمأنينة والأمان .)

بدا لى أنني أخيرا عثرت على ما كنت أبحث عنه .. نمرح كثيرا ونركض سويا ثم نجد أنفسنا فى زحام شديد فيضيع مني و أفقد أثره . أبحث وأبحث عنه فلا أجده . أسير مبتعدة عن هذا الجمع من الناس وأعود إلى الصحراء المقفرة من جديد وهناك أجد عصبة من الرجال أشبه ما يكونون برجال العصابات وبحوزتهم " سعد " مكتوف الأيدي والأرجل منهك لا حول له ولا قوة .

أخذت أصرخ وأترجاهم أن يدعوه وشأنه ولكن خاب سعيي وضاع جهدي سدى . فهم لم يستمعوا إلى توسلاتي وحملوه بعيدا؛

ولكن سرعان ما ابتلعهم الظلام فى جوفه واختفوا عن الأنظار؛ فصرخت بكل ما أملك من قوة :- سعد ...

أفقت من نومي فزعة والتفت حولي مذعورة لأجد أنه كان محض كابوس !!.

****

فى شارع يضج بصخب المدينة وجنون السيارات الطائشة بأبواقها وسرعاتها الجنونية فى ذلك الوقت من العام حتى تكاد تختنق بمن فيها؛ فنحن الآن على أعتاب الصيف والناس يأتون من كل حدب وصوب .. هنالك فى أحد الأبراج المواجهة للبحر تقع عيادة الطبيب النفسي .

كنت ممدة على سرير يقع قبالة شرفة مطلة على الكورنيش تنبعث منها رياح صيفية لطيفة أنعشتني وبعثت بالروح إلى جسدى من جديد .. أخاطب ذلك الطبيب الهرم ذا المنظار الطبي والشخصية الرزينة الهادئة التى تثير جنوني فلو أن العالم كله قد إنهار لما نبس ببنت شفة أو اهتزت له شعرة من شعراته البيضاء .

- كوابيس ..كوابيس إمتى أخلص من الكوابيس اللي بشوفها كل يوم يا دكتور ؟!.

و الناس اللي بشوفهم في أحلامى فى منهم افتكرتهم وعرفتهم وفي منهم مش عرفاه.

أجابني الطبيب بهدوء و ثبات :-

- زي ما أنا قلت لك قبل كده ذاكرتك بدأت ترجع لك ؛ والكوابيس دي لأنك متوترة وأعصابك تعبانة وأنا هكتب لك على مهدئات و أدوية تحسّن حالتك النفسية. بس المهم إنك تخرّجي نفسك من جو الكآبة اللي أنتِ عايشة فيه . انزلي الجنينة بتاعة بيتكم وروحي البحر . اخرجي .. روحي أماكن مفتوحة ولازم تخدي الأدوية بتاعتك فى مواعيدها وعايز أشوفك الأسبوع الجاي . وإن شاء الله هتكوني أحسن .

أتنهد قليلا قبل أن أذهب ؛ يبدو أنه لم يأت بجديد فها هو يكرر عليّ النصائح عينها في كل مرة؛ ولكن شيئا لم يتغير .

أعلم أن هناك ثمة علاج لحالتي ولكن لسبب أجهله رفض أبواي هذا الدواء .. ففى الليلة التى عقبت خروجي من المشفى تسلل إلى سمعي حديثٌ دار بينهما عن إمكانية علاجي بالتنويم المغناطيسي الذي سيساعدني على التذكر .. أمي رفضت بشدة تلك الفكرة ونعتتها بالجنون .. هى ترى أنه من الأفضل لى ألاّ أتذكر ما

سيبعث بالأشجان فى نفسي وتعتقد أن الله أراد أن يرحمني من عبء ذكريات الحادث الأليم الذي تعجز قدرتي على تحمله .
تحدث أبي أن الطبيب قال إنه من حقي أن أختار ويبدو أنه يؤيد كلامه ؛ لكن أمي تمكنت فى النهاية من إقناعه ..
لعلكم تتساءلون لمَ لمْ أصر على تلقي العلاج ؟ .. فى الحقيقة كنت حائرة بين الرغبة في أن أعرف وبين خوفي مما سأعرفه .. كان بداخلي صوت يحذرني من الماضي ويأمرني بالابتعاد عنه .. فلم أجد بداخلي ما يكفى من الشجاعة لأخطو تلك الخطوات الحاسمة لذا آثرت أن أنسى وألاّ أحاول نبش أنقاض الماضي ولعلّ السبب فى فقداني للذاكرة هو رغبة عقلي فى أن يمحو تلك الذكريات ..
أردت أن أحظى ببعض من السلام ولكن الكوابيس اللعينة والمشاهد التى تتراءى لعيني على حين غفلة من عقلي البائس تكاد تدفعني للجنون حتى أن نوبات من الصداع الحاد باتت تنتابني وتوشك أن تفتك بى حين أبدأ فى تذكر بعض الأحداث ويحدث أحيانا أن أفقد الوعى أو تنهار أعصابي كليا .. وهو ما جعلنى أزور الطبيب النفسي بشكل دائم .

مشكلتي آخذة فى التفاقم يوما بعد يوم خاصة منذ عادت تلك الصديقتان من الماضي لتحييان الذكريات التى سبق أن دُفنت فى بئر النسيان .

يبدو أن حدسي كان مصيبا، فما عرفته حتى الآن لا يسر على الإطلاق .. ويحي مما تحمله لى الأيام القادمة ..

****

في ضاحية حدائق القبة بقلب القاهرة حيث مبنى المخابرات العامة المصرية يقع مكتب العميد " حمدي السعيد " .. طرقات على الباب تنتزع العميد من بحر أفكاره .. يفتح الباب ويدخل ضابط شاب بهي الطلعة وسيم الشكل يبدو أنه على مشارف الثلاثينيات من عمره وبصحبته أحد العساكر الذي يخاطب العميد قائلا :

- تمام يا فندم .. الرائد " أشرف " معايا .

الضابط الشاب يتنقل ببصره بين العسكري ذي البشرة السمراء والشارب الهزيل وبين العميد الذى خطّ الشيب رأسه ليزيده وقارا والذى كان دافنا رأسه بين أحد الملفات يطبق عليه بكلتي يديه .. يرفع رأسه حين تصل إلى مسامعه تلك العبارة ويرتسم على وجهه شبح ابتسامة ثم يقول العميد مخاطبا الرائد " أشرف " :-

- اتفضل يا " أشرف " .

ثم يردف دون أن يحول بصره عن الرائد :-

- روح أنت دلوقتي يا " حسين " .

- الرائد أشرف : حضرتك طلبت تشوفني يا فندم .

- العميد حمدي وقد ارتسمت ملامح الجدّ على وجهه:

في قضية كنّا بنحقق فيها من خمس سنين بخصوص عصابة دولية لبيع المخدرات و تهريب الممنوعات واتضح لنا إن نشاطهم مش قاصر على كده وبس. وإنهم كمان بيهربوا سلاح لمجموعة من البدو في " سيناء " اللي بيبعوه للعرب و أماكن في الصعيد و خصوصا في الأماكن اللي فيها تار . فاكر القضية دي يا حضرة الرائد ؟.

الرائد "أشرف" وقد تغيرت نبرة صوته فأصبحت أكثر رقة بينما طفا على وجهه حزنٌ دفين:

- هى دي القضية اللي قفلناها بعد ما المرحوم " سعد " اتقتل بفترة؟ .

العميد حمدي : و المشكلة إن الدنيا كلها افتكرت إنه مات منتحرا علشان الرسالة اللي لاقيناها مكتوبة بخط إيده وكان بيقول فيها إن

حبيبته هى السبب. وبعدين كمان ده مات بقطع شراينه ومفيش أي دليل على إنه اتقتل .

الرائد "أشرف" وقد تقمص دور المحامي فأخذ يتحدث بدفاعية قائلا :

- وده مستحيل طبعا إن سعد يعمل كده، وللأسف يا فندم ده كان واضح للمباحث بس ؛ وكان مستحيل نضيع مجهود سنين من التحريات خصوصا إننا مفيش فى إيدينا دليل على إنه اتقتل .

يصمت لبرهة قصيرة ثم يضيف متسائلا :-

- بس أيه اللي خلى سيادتك تفتح ملف القضية دى من تاني ؟!.

- العميد حمدي : فاكر البنت اللي المرحوم " سعد " كان بيحبها وكان ناوي يخطبها من أهلها لمّا ينتهى من القضية دي ؟... البنت اللي ماتت في حادثة عربية في نفس اليوم اللي اتقتل فيه " سعد".

- الرائد " أشرف " : فاكرها يا فندم. كان اسمها " نسرين يوسف".

- العميد " حمدي " : اتضح لنا إن البنت دي كانت فى غيبوبة وحالتها مفقود فيها الأمل و" نسرين " كانت الخيط الوحيد اللي ممكن يوصلنا بالعصابة و بكده اتقطع الخيط ده . وصلتنا معلومات

إن البنت دي بعد خمس سنين ومن ثلاثة اشهر تقريبا صحيت من غيبوبتها بمعجزة .

- الرائد أشرف وقد تهللت أساريره :

- ياااه. سبحان الله ، ده خبر هايل يا فندم. بس حضرتك متأكد من الكلام ده ؟! .

- العميد حمدي : أكيد ودي صور ليها في فرح زميلتها في الكلية وصديقة قديمة ليها اسمها " ريم ".

- الرائد أشرف : معنى كده إنها ممكن تساعدنا في القبض عليهم .

- العميد حمدى : بس في مشكلة كبيرة. هى إن " نسرين " لما فاقت كانت فاقدة الذاكرة تماما ومع الوقت بدأت تفتكر بعض الحاجات. وواضح إن نفسيتها مش متزنة .

المهم دلوقت لازم تلاقي البنت دي و تحميها لأن العصابة اللي حاولت تقتلها لو عرفت المرة دي أكيد هتقضي عليها.

- الرائد أشرف : أكيد يا فندم.

- العميد حمدي : لازم كمان نساعدها على إنها تفتكر كل حاجة. وأنا قررت إنك هتمسك القضية دى من جديد.

- الرائد أشرف : ثقة سيادتك فيّا دى شرف ليا يا فندم.

- العميد حمدى : الأول مطلوب منك تقابل دكتورها النفسي وأكيد بدون ما يعرف هويتك الحقيقية و بعد كدة تقابلها و تعرّفها بنفسك لأنها أكيد مش فاكراك . بس حافظ على السرية التامة يا " أشرف" . عايز تقرير بعد أسبوع.

- الرائد أشرف : تمام يا فندم.

****

شعرت بشيء من الراحة حين أفقت اليوم من سباتي لأجد أن الغيوم قد تبددت وبدأت أشعة الشمس فى التسلل إلى غرفتي باعثة فى نفسي شيئا من الدفء . أيقظ بداخلي رغبةً فى ممارسة هوايتي القديمة ألا وهى الرسم .

كنت جالسة في الشرفة أرسم لوحة زيتية لامراة يبدو الحزن جليًا على وجهها . أشعر بخطًى تقترب مني فالتفت إلي يميني لأجد أمي في عباءتها القرمزية الفضفاضة و شعرها المعقود داخل إيشارب صغير أبيض اللون . ألمح الحزن جليا على وجهها . تتأمل لوحتي ثم تنظر إليّ بأسى قائلة :

- لحد إمتى هتفضلي قاعدة من غير أكل يا ضنايا ؟

- أجيبها قائلة :

- يا ماما يا حبيبتي ما تشغليش بالك .. أنا لما هاجوع هاروح آكل من نفسي .

- الأم : أبوكِ واحشني أوي يا " نسرين " ومش كفاية هو رجع الكويت كمان " راندا " أختك قال أيه هتسافر مع جوزها و ابنها على أمريكا و يسيبونا أنا وأنتِ لوحدنا .

- رددت : يا ماما أنا قولت لك لوعايزة تسافري له سافري و سبيني .

- قالت : لا يا بنتي أنا مش ممكن أسيبك لوحدك تاني . أنا بس مش عارفة أنتِ ليه مش عايزة تسافري معانا ؟! .

- أجبت: يا ماما قولت لك ستين مرة مش هسافر. يعنى مش هسافر .أنا أخدت قراري خلاص ومش هرجع فيه .

لا أخفيكم سرا أن أمي تتنازعها رغبتان عارمتان تتصارعان بداخلها؛ إحداهما أن أنسى ماضيّ ليتسنى لها نسيانه، والآخرى تصيبها بتأنيب الضمير فمن الطبيعي أن تتمني شفائي من فقدان الذاكرة لكنها فى الواقع تُصلي لأُلقى بظلال الماضي الثقيلة وراء ظهري وأبدأ من جديد كيوم ولدتنى.

****

الصمت يلف المكان . الساعة الآن الحادية عشر . أسمع رنين الهاتف الموضوع على المنضدة المجاورة لمقعدي فأسرع لألتقط

السماعة قبل أن يوقظ صوت الرنين أمى المسكينة . أسمع صوتا أنثويا رقيقا أعرفه جيداً . إنها " ريم " صديقتي المقربة .

"ألو يا ريم . إزيك يا حبيبتى . عاملة أيه ؟ . وحشتينى أوي ... أنا زعلانة منك جدا ... من يوم فرحك محدش فينا شافك .. بكره . آه فاضية .. أنا معزومة عندك .. و " مها " كمان جاية .. طيب ليه التعب ده ؟ .. خلاص خلاص متزعليش .. جاية .. متخافيش مش هتأخر .. وأنتِ من أهله .. باى . "

****

أفقت باكرا فى ذلك اليوم ونفضت عني غبار الكسل، بخطوات حذرة اتجهت نحو الدرج بعد أن اغتسلت .. كنت أخشى السقوط أرضا فساقاي لم تستعيدا حالتهما الطبيعية منذ الغيبوبة . حين غادرت المستشفى غادرتها على كرسي متحرك، أطرافي كانت أهزل من أن تحملني إلى السيارة .. قال الأطباء إن هذا سيزول بمرور الوقت وأن العلاج الطبيعي سيدفعني لاستعادة عافيتي على نحو أسرع . بالفعل صرت الآن أفضل بكثير فعلى الأقل بت قادرة على السير بمفردي وحمل أغراضي بيديّ .

وجدت أمي مستيقظة و جالسة فى الشرفة تحتسي كوبًا من الشاي . دنوت منها باسمة وقلت :

- صباح الخير يا ماما .

- صباح النور يا حبيبتى . مش هتفطرى يا نسرين ؟ .

- لا ميرسى يا مامي . افطرى أنتِ . أنا أكلت بسكويت مع الشاي.

- يا بنتى مينفعش كده . هتقعي من طولك .

- ما تخافيش . عايزة حاجة مني ؟ .علشان أنا خارجة .

- فردت مندهشة : خارجة رايحة فين على الصبح كده ؟! .

- أنا معزومة عند " ريم " و كمان " مها " هناك .

- أنتِ على طول سايباني لوحدي كده . طول الوقت قاعدة ف أوضتك أو خارجة .

- يا ماما أنا عايزة أفك عن نفسي شوية . وبعدين أنا بقالي كتير ما شوفتش ريم ومها .

- ماشى يا بنتي . روحي اخرجي واتبسطي. بس خدي بالك من نفسك .

أُقبّل رأس أمي وأسمعها تدعو لي بالهداية والتوفيق ... أتجه إلى غرفتي وأبدّل ثيابي .. أحاول إخفاء تلك الظلال السوداء - التى

ظهرت مؤخرا حول عيني -باستخدام مساحيق التجميل .. أصفف شعرى وأرتدي حذائي ثم أغادر الفيللا .

****

كلما صعد بى المصعد إلى أعلى حيث تقطن " ريم " ازداد خفقان قلبي ولم أدر ما السبب ؟! .. يتراءى أمام عيني مشهدٌ أنا بطلته.. أكون فيه فى أحضان " سعد " ونحن داخل المصعد .. فجأة يفتح الباب .. أرى سيدة فى خريف عمرها ترتدي عباءة سوداء وقد عقدت شعرها فى منديل من اللون نفسه .. حاجباها مزججان للغاية وشفتاها تنطقان بوقاحة مفرطة ولها عيناها تبثان حقدًا بالغًا ...

ترى من تكون تلك التى هبطت على رأسينا كالصاعقة وانتزعت منا لحظاتنا السعيدة ؟!! ..

إنني أتذكرها جيدًا الآن ... كانت تصرخ فى وجهينا قائلة :-

- يا دي الفضيحة . يا خسارة تربيتك يا " حنان " ... فينك يا دكتور" يوسف " تيجي تشوف بنتك بتعمل أيه ؟!

ثم تردف قائلة :-

وأنتَ أيه معندكش ضمير ؟ . هوه علشان البنت أهلها مسافرين تستغل الفرصة وتعمل فيها كده ؟ .. فاكرها ملهاش حد و مقطوعة من شجرة ؟ .. أنا هاخلي أهلها ييجوا يعرفوك شغلك كويس ..

انتابنى صداع حاد ولم أعد قادرة على تذكر المزيد . لا أعرف ما الذى حدث بعد ذلك ؟! .. ترى ألهذه الواقعة علاقة بعودة أسرتي من الكويت و قدومها للعيش معي بالأسكندرية ؟! .

يتوقف المصعد .. فأفتح بابه وأهرع بسرعة إلى الخارج هاربة من أشباح وكوابيس الذاكرة .. أضغط على جرس باب شقة " ريم " .. يفتح الباب ..

تتهلل أسارير " ريم " لدى رؤيتها لي وتصيح قائلة :-

" أخيرًا نسرين وصلت " .

ثم لا تلبث ابتسامتها أن تتلاشى ويعلو وجهها الوجوم .. تهمس فى أذني قائلة :-

- مالك يا بنتي ؟!! .. في أيه ؟!! .. وشك أصفر أوي .

أنتِ تعبانة ؟! .. ادخلي . اقعدي ارتاحي .. أنا رايحة أعمل لك ميه بسكر .

- الصداع هيموتني .. هاتِ لي مسكنا للصداع وشوية ميه .

- مها: خير يا " نسرين " . ما لك ؟! ..أنتِ كويسة ؟! .

" ريم " و" مها " تتبادلان نظرات قلقة وذات مغزى ؛ وقد أحاطتهما هالة من الوجوم الممتزج بالقلق والريبة .

صرت الآن أفضل حالا ... تناولنا معا طعام الغداء الذى كان شهيا للغاية ..

لا بد أن ريم قضت ليلة أمس فى صنع تلك الأصناف المختلفة من الطعام وخاصة محشي ورق العنب والبط المحشو بالأرز واللازانيا التى أكن لها عشقا خاصا دون غيرها من الطعام .. ولا أدرى كيف تسنّى لها الوقت لصنع الكعك والبسبوسة ..

ضحكنا كثيرًا وأخذنا نثرثر ونلهو بلا كلل ... فجأة تقطع ضحكاتنا المرتفعة صرخات "مها" التى أمسكت ببطنها قائلة :-

آاااااه . إلحقوني .. آه يا بطني .. أنا شكلي هاولد دلوقت .

المفاجأة نزلت على رؤسنا كالصاعقة .. الذعر جمّد أوصالي فوقفت فى مكاني ساكنة بلا حراك وعيناي تحدقان بكلتي المرأتين...

- قالت ريم : يا مصيبتي .. يا دي اليوم اللي مش معدّي . بت يا " مها " اوعي تعمليها فينا وتولدي هنا... أنا هاكلم " أحمد " جوزي ييجي يودينا المستشفى .

لم أدر ما الذي عليّ فعله، بصراحة لم يسبق لى أن خضت تجربة كتلك؛ فشعرت بالرهبة الممتزجة بالارتباك الشديد ..

- نسرين متلعثمة : معلش يا حبيبتى استحملي شوية ...

يا ريم . افرضي ولدت قبل جوزك ما ييجي ؟ . تقدري تقولي لى ساعتها هنعمل أيه ؟!

- ريم : مش عارفة . بس هوه قال قدامه خمس دقايق أو عشر دقايق بالكتير . ربنا يستر.

- مها : يالهوي . مش قادرة . أنا لازم أروح المستشفى حالًا .. اتصرفوا .. اطلبوا الإسعاف .

- نسرين : إسعاف أيه بس أنتِ كمان ؟ . على ما تيجى الإسعاف تكوني ولدتِ . تعالي نسندها لحد تحت ونركب تاكسي يودينا المستشفى .

- ريم : طيب استني لما أنادي على عم فتحي البواب يساعنا ... ده وقت تأخير يا "أحمد" ؟! ..

ماشي حسابك معايا بعدين .

- نسرين : هو أنتِ فى الشهر الكام ؟.

- مها : الشهر التامن .. آاااه ....

تأتي ريم لاهثة .. صدرها يعلو ويهبط بعنف وبصحبتها حارس العقار " عم فتحى " ذو الجلباب الأبيض والعمامة التى تلتف حول رأسه وتتوجها، واللكنة الصعيدية الواضحة والذى بدا فى الخمسينيات من عمره .. وما تلبث أن تلتقط أنفاسها حتى تقول له بحزم تخفي وراءه قلقها البال :-

- عم فتحى ساعدنا ننزلها لتحت لحسن تولد هنا .. لازم نوديها المستشفى .

- ربنا يقومك بالسلامة يا بنتي. أنا هشيلها. بسم الله الرحمن الرحيم استعنا على الشقى بالله.

" ريم " تتمتم ببعض الآيات القرآنية والأدعية بعد أن أوصدت باب شقتها خلفها. تمسك بذراع نسرين التى جمّد الخوف أوصالها وشحب لونها ثم تدخلان الى المصعد لتلحقان بصاحبتهما و" عم فتحى " حارس العقار الكهل ...

وأمام مدخل العماره القديمة ذات الباب الحديدي الذى تسلل إليه الصدأ . تنادي " مها " على " نسرين " وتقول لها :-

اتصلي بماما قولي لها على اللي حصل .. وخليها تجيب الحاجات معاها بسرعة ... قولي لها هاتي الشنطه اللي فى الدولاب وسيبي العيال عند جارتنا وخليها تآخد بالها منهم كويس . آاااه .

- ريم : " أحمد " أهو جه . حطها فى العربيه يا "عم فتحى" .

ثم تردف موجهة حديثها إلى زوجها :-

أنت أتاخرت ليه يا " أحمد" ؟! . الست هتولد فى الشارع.

- أحمد : الطريق زحمة . ياللا اركبي يا " نسرين " بسرعة.

كان زوج " ريم " - الذى هو فى الثلاثينيات من عمره – يتصبب عرقا، بينما يمسك بعجلة القيادة محاولا تفادي الزحام فى تلك المنطقة بقدر الإمكان .

****

يبدو أن ولادة " مها " هذه المرة كانت مستعصية حتى أن الأطباء قضوا النهار وهم يحاولون توليدها وفى النهاية لم يجدوا أمامهم مفر من اللجوء إلى الولادة القيصرية، مرت تلك الساعات علينا ثقيلة ورتيبة وكأنها دهر من الزمن ..

كنّا قعودا بغرفة الانتظار فى المستشفى حين خرجت الممرضة ذات البشرة السمراء والشعر الأسود الفاحم المجعد من غرفة العمليات؛ وعلى ثغرها ابتسامة عريضة حتى ظهرت أسنانها وقالت لنا :-

- مبروك جالكم ولد .

- نسرين: طيب " مها " عاملة أيه ؟

- الممرضه: الست " مها " كويسة . حالا هتخرج من العمليات. حالتها مستقرة بس لازم نستنى لما تفوق علشان نطمن عليها.

- ريم : يارب استر.

بعدما أفاقت "مها" شعرت بالارتياح وتنفست الصعداء، وإنتابنى إحساسٌ بأن جبلا كان يجثم فوق صدري وقد تخلصت منه لتوي...

حين رأيت وليدها وحملته شعرت بغريزة الأمومة لدي تستيقظ من سباتها العميق. وكم كانت فرحة " مها " بوليدها الجديد !!. ولكنها لم تسطيع أن تخفي ألمها الذى ارتسم على صفحة وجهها حين أخطأت الممرضة وحسبت أن " أحمد " هو زوج "مها" .

تبادلنا نحن الثلاثة - أنا وريم وأحمد - نظرات ذات مغزى ثم بادرتها ريم قائلة :-

- مش لازم أبوه يعرف وييجى يشوفه ؟! .

ردت " مها " غاضبة :-

- لأ طبعا... ده واطي وما كلفش نفسه يسأل عليّا وعلى بناته؛ ميستاهلش إني أفرحه .

وبالرغم مما قالته صاحبتنا إلاّ أنها فى قرارة نفسها كانت تحترق و تتوق شوقا بكل ذره فيها إلى أن يعود إليها زوجها ويشاركها فرحتها بولدهما الجديد ... بدت مشاعر "مها " فى تلك اللحظات كأمواج البحر المتلاطمة المتصارعة؛ فعلى الرغم من ضعفها وحنينها الشديد إلاّ أن كبريائها تثقل عليها أن تعترف بذلك أو حتى تظهره .

لم تمض سوى لحظات حتى سمعنا صوت " أم مها " وهى تقول:-

أنا عندى مفاجأة ليكِ . " صفاء " جارتك جابت لك بناتك .

ابنتا " مها " اللتان تراوحت أعمارهما بين العامين والثلاثة أعوام تركضان فرحتان نحو أمهما التي تهللت أساريرها عند رؤيتهما.

فقالت الأم للصغيرتين :-

" مي " ، " نور " وحشتونى يا حبايبى .

- الجدة: خدو بالكم ماما تعبانة وعاملة عملية .

- مى: فين النونو يا مامي ؟ .

- مها : أهو يا حبيبتي .

- نور: هو أنتِ يا ماما هتحبيه أكتر مننا ؟.

- مها: مين اللي قال لك كده ؟! .

- نور: أصحابي فى الحضانة هم اللي قالوا لي كده .

- مها: لا طبعا يا حبيبتي أنا بحبكم كلكم زي بعض واللي يسمع كلام ماما ويبقى شاطر ماما تحبه أكتر .

- مى: ماما أنتِ هتسميه أيه ؟ .

- مها: مش عارفة لسه أيه رأيكم انتو ؟.

أجواء من المرح خيمت على المكان، وانقشعت سحابة الحزن وانزوت فى أحد الأركان البعيدة تترقب اللحظة التى تسنح لها الفرصة فيها بأن تعود وتلتف حولنا ..

****

ألحّا علىّ " ريم " وزوجها كثيرا أن أركب معهما فى السيارة ليوصلاني إلى منزلي؛ ولكني شعرت بالحرج وأردت أن ينعم

الزوجان بشيء من الراحة و السكينة عقب ذلك اليوم العصيب .
لذا قلت لهما : –
ميرسى أوي . بس بجد أنا عايزة أتمشى شوية . متضايقة من حبسة البيت وكمان الدكتور قالي أعمل كده .
- ريم باستنكار- تتمشي أيه بس يا بنتي ؟! . الدنيا ليل !!.
- أحمد مؤيدا زوجته - هو أنت مكسوفة منى يا " نسرين " ؟! . عادي أنا زي أخوكِ وبعدين أنا مش تعبان فى حاجة .
- أجبت: لا أبدا مش مكسوفة ولا حاجة .. أنا هتمشى واشتري شوية حاجات .
- ثم قلت محاولة تغيير مسار الحوار الدائر بيننا :-
صحيح يا " ريم " هوه احنا هنسيب " مها " كده ؟! . مش لازم جوزها يعرف . أنا حاسة إنها لسه بتحبه . ويمكن اللي حصل ده يخليهم يرجعوا لبعض . لازم نعمل حاجة وهيكفينا شرف المحاولة.
- ريم – والله أنا رأيي من رأيك يا " نسرين " . ياريت نقدر نعمل لهم حاجة .
- أحمد – أنا رأيي ماتدخلوش أحسن . وسيبوا الناس فى حالها .

- ريم ترد عليه بتحفز وكأنها تتأهب للقتال :

يا " أحمد " بطّل السلبية بتاعتك دي .. وبعدين دي صاحبتنا واحنا أدرى بيها . وكمان على فكرة جوزها لما طلقها ماكنش عارف إنها حامل . كانت فى الشهر التالت وكان فى بينهم مشاكل كتير. علشان كده مرضيتش تقول له وكانت بتفكر تنزل الجنين.

تعرفوا إن حماتها كانت بتعايره وتقول له مراتك مبتخلفش غير بنات وبإن سلفتها اللي بتكره " مها " كره العمى جابت لجوزها الولد وهي لأ !! .

- نسرين - وهى " مها " ذنبها أيه ؟! . هى حماتها دى مش عارفه ان نوع الطفل ده من الأب مش الأم . وبعدين أيه يعنى ولد ولا بنت ؟! . كله نعمه مش أحسن مايطلع طفل مشوه . ليه مش بتحمد ربنا ؟!.

- أحمد – معقول لسه فى ناس بتفكر بالطريقة دي ؟!

- ريم – وأكتر من كده كمان . هتقول أيه !!. جهل وقلّة دين .

- نسرين محاولة إنهاء الحديث –

طيب يا جماعة تصبحوا على خير . أستأذن أنا علشان الوقت اتأخر.

- أحمد – متاكدة إنك مش عايزة نوصلك ؟ .

- نسرين – ميرسى يا " أحمد " ... ياللا باي يا جماعة . تصبحوا على خير .

- ريم – وأنتِ من أهل الخير .. أول ما توصلي كلميني .. لا إله الاّ الله .

- نسرين: محمد رسول الله .

عندما مضت " نسرين " فى طريقها وأخذت السيارة التى ركبها الزوجان تشق الطريق مسرعة همست " ريم " فى أذن زوجها قائلة :-

قلبى واكلني عليها يا " أحمد " . والله بدعي لها فى كل صلاة إن ربنا يشفيها وترجع لها ذاكرتها ويصلح لها حالها ويرزقها بعدلها .

الزوج ذو المنظار الطبى والبشرة الخمرية التى لوحتها الشمس يكتفي بإيماءة صغيرة من رأسه ، ونظرات الشفقة فى عينيه حملت خير جواب على حديث زوجته فلم يكن بحاجة إلى الكلام .

****

الظلام يلفني بعباءته السوداء الحالكة بالكاد أتحسس طريقي على ضوء مصابيح تعد على أصابع اليد ؛ يبعد كل منا عن الآخر مسيرة أمتار.

لم أكن ألاحظ ان هناك ثمة من يراقبني .. أمضي فى طريقي على الدرب المؤدي إلى منزلي، حين تفاجئت بصوت يخترق مسامعى لآلة تنبيه سيارة تسير إلى جواري مزقت الصمت الذى يلف المكان ..

لم أتوقف وتابعت المسير على قارعة الطريق ظنا مني بأن أحد المتطفلين يعاكسني .. ظلت السيارة تلاحقني فتوجست خيفة وأخذت أسرع الخطى حتى كادت أنفاسي أن تنقطع .. شعرت بأن قلبي لشدة ضرباته المتلاحقة سيتوقف عن الخفقان، وخطر لي أن دقات قلبى باتت مسموعة للجميع .

لكني توقفت حين سمعت من يناديني باسمى قائلًا :-

آنسة " نسرين " . اقفى لحظة من فضلك .

التفت إلى جواري فى دهشة واضحة وأنا أتساءل من ذاك الذي يناديني ؟! ويا ترى من أين يعرفني ؟!! لأجد سيارة سوداء من فئة المرسيدس يخرج منها ضابط شاب يبتسم لى قائلا :-

" نسرين يوسف " مش كده ؟.

- نسرين فى قلق بالغ : أيوه أنا . خير فى حاجة ؟! .

- الضابط – أنا الرائد " أشرف " من المخابرات العامة .

مش فاكراني ؟ . احنا اتقابلنا قبل كده .

- نسرين – أنا آسفة . بس أنا حصلت لى حادثة وفقدت الذاكرة ... هوه أنا متهمة بأيه ؟!

أنا عملت حاجة غلط يا فندم ؟! .

- المقدم أشرف – متهمة أيه بس ؟! . حد قال كده ؟! . إحنا طالبين منك خدمة . ياترى لسه فاكرة لما كنتِ بتساعدينا أنتِ و" سعد " زمان ؟ .

- نسرين مذعورة - " سعد " !! . سيادتك تعرف " سعد "؟! .

- المقدم أشرف – طبعا أعرفه . " نسرين " احنا مش ممكن نتكلم فى الشارع . ضرورى نحافظ على السرية التامة . لازم نتقابل بكره . أنا هقول لك على كل حاجة . هكون لابس مدني وأفضّل تكوني متنكرة لأن لازم محدش يعرف عن مقابلاتنا أي حاجة . وإلاّ حياتك هتكون فى خطر . مش أنتِ بس ممكن عيلتك وصاحباتك كمان . الحذر مهم جدا فى شغلنا . أقابلك بكره الساعه ١ عند نقطه شرطه الكيلو ٢١ .

- نسرين قلقة – طيب أنا مش فاهمة حاجة . ممكن تفهمني أيه اللي بيحصل ؟! .

- المقدم أشرف – بكره هتفهمي كل حاجة . متتأخريش على الميعاد . ودلوقتي اركبي تاكسي وروّحى بسرعه علشان محدش يشك .

أنقب فى ذاكرتى الخرفة عن أية ذكرى تمت إليه بصلة فلا أجد سوى هشيما تذروه الرياح .. فراغ مخيف ولا شىء يذكر .. أقف على شفا حفرة من الجنون .. إنها المرة الثالثة التى يقول فيها شخص ما أنه يعرفنى جيدا فى الوقت الذى لأ أذكر فيه عنه شيئا .. ولكن هذه المرة تختلف كليا عن سابقتيها فهو رائد من المخابرات العامة .. وما هذا الذى يقوله لي ؟!! .. أيعقل أن يكون قد أخطأ الشخص المقصود وأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تشابه أسماء !! .. ويحي من أكون أنا إن صدق الرجل؟!! .. أتراه صادقا أم يخدعني ؟ .. أتراني في حلم أم حقيقة ؟!! ...

****

أتناول طعام العشاء وأنا أشاهد نشرة الأخبار. لا شيء فيها جديد، كل يوم كسابقه . مقتل عدد من الفلسطينين على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلية ... وانتحاريون يفجرون سيارة مفخخة فى العراق مما أسفر عن مقتل وإصابة عدد من العراقيين . والحرب

الأهلية مستمرة فى دارفور والصومال . ومقتل عدد من الأفغان وإصابة آخرين . ثم ننتقل إلى الكوارث الطبيعية التى انتشرت فى العالم هذه الأيام بدرجة لم يسبق لها مثيل . السيول فى باكستان والصين ثم الفيضانات فى أثيوبيا وإنتهاءً بحرائق الغابات فى روسيا ...

و سرعان ما يأتي دور النشرة الاقتصادية لتجد مذيع النشرة يقول :- استمرار انخفاض أسعار مؤشرات البورصة العالمية . ولو كان يحمل أخبارا أفضل حالا فإنه سيقول :-

البورصة المصرية تشهد ارتفاعا طفيفا اليوم نظرا لإقبال الأجانب على الشراء ...

وأخيرًا النشرة الجوية . أصبح من الطبيعي أن يصير أيا منا خبير أرصاد جوية فى ظل ذلك المناخ الغريب وأن يتنبأ بحالة الجو غدًا وأنه سيسود البلاد موجة حر شديدة ...

أضغط على الزرّ فى جهاز التحكم عن بعد لأغير القناة .. المضامين ذاتها فى برامج " التوك شو " والبرامج السياسية .. أزمة القمح فى مصر ومخاوف عالمية من حدوث مجاعة والحديث عن نزاهة الانتخابات وتوريث الحكم وتصدير الغاز لإسرائيل والشاب السكندري الذى قتلته الشرطة .. والمعارضة

تؤكد والحزب الحاكم ينفي بشدة !! .. ومع ذلك لم يعد صعبا على الجماهير أن تميز الخبيث من الطيب ...
آه يا رأسي . يالجنون العالم !! . ألم يعد يمكننا أن نشاهد شيئا يشعرنا بالتفاؤل وببصيص من الأمل ؟!! ...
كوارث ودمار وحروب وقتل وتشريد وأزمات اقتصادية وغذائية!! ...
داهمني النعاس فآويت إلى فراشي . ولكني لم أستطع النوم ليلتها...
شعرت بالقلق والإثارة معا . أكثر ما أرّقني هو أن الرائد " أشرف " يعرف " سعد " ؛ وأنني و"سعد " كنا نساعد المخابرات!! ...
يا إلهي رحماك . لم أعد قادرة على التفكير .
منذ أن أفقت من غيبوبتي والأحداث الغريبة تلاحقني . ترى أية حياة كنت أحيا قبل ذلك ؟! . وما الذى أصاب حبيبي " سعد " ؟! . هل قتل ؟! . إن هذا الاحتمال بات شبه مؤكد بعد أن علمت بأنه كان يعمل مع المخابرات .
ترى هل سألقى المصير نفسه ؟! . يا إلهي ساعدني .

****

بعد أن تأكدت من سلامة هندامي ارتديت نظارة شمسية سوداء تخفي شيئًا من ملامحي ووضعت على رأسي قبعة كبيرة تخفي شعرى وجزءً من وجهي . ودّعت أمي التى كذبت عليها مدعية

أنني سأزور صديقتي " مها " النفساء للعناية بها وببناتها . وكنت قد عزمت على ذلك بعد أن أنتهي من لقائي بالمقدم " أشرف " ذي النبرات الواثقة والشخصية القوية . خرجت من الفيللا وأوصدت الباب خلفي .. كان قلبي يخفق بجنون حتى حسبت أنه سيفر ويدعني وحيدة كلما اقتربت سيارة الأجرة التى تحملني إلى المكان المتفق عليه .. وفى الواحده إلاّ خمس دقائق كنت هناك حيث وجدت الرائد الشاب الذي بدا لى وسيمًا فى ثيابه المدنية .. مد يده ليصافحني وعلى ثغره ابتسامة لطيفة ثم قال :-

إزيك يا " نسرين " ؟ . تسمحي لى أشيل الألقاب . كده أحسن .

- بس يا فندم . العين متعلاش عن الحاجب .

- ازاي بس متقوليش كده . خلينا لو سمحتي نتعامل مع بعض كأصدقاء بعيدا عن الرسميات . تنكرك حلو على فكرة . وبالمناسبة برافو علشان جيتي قبل ميعادك . كده تعجبينى . ياللا اركبي العربية بسرعة قبل ما حد يشوفك .

لم أعد قادرة على كبح جماح تساؤلاتي فالتفت إلي الضابط الشاب الذي لم يحرك عينيه عن الطريق بينما يداه تطبقان على عجلة القيادة، قلت له :-

- احنا رايحين على فين ؟

- أشرف بينما يقود السياره :-

قلعة قايتباي ؟ .

- نسرين مندهشة – إشمعنى يعني قلعة قايتباي ؟! . احنا كده ممكن نتأخر.. أنا كنت فاكرة إننا هنروح مكتبك ...

- أشرف – أفضّل نتكلم فى مكان بعيد .. لأن زي ما قلت لك السرية أهم حاجة . ثم إنك محتاجة تريحي أعصابك . وأنا واخدك لمكان مش غريب عليكِ أنتِ روحتِ قبل كده مع " سعد " وباقي زمايلك فى الجامعة فى آخر رحلة طلعتيها معاهم ويمكن لو روحتى تاني هناك ده يساعدك على إنك تفتكري .

السيارة تشق الطريق السريع، سرعتها تتزايد بانتظام عقارب الساعة .. أعمدة الإنارة والأشجار الهزيلة سرعان ما تتلاشى وتذوب فى الأثير .. وسيارات ذات موديلات حديثة تسابق الريح وأخرى عتيقة تزحف على الطريق زحفًا .. أكاد أذوب فى أشعة شمس الظهيرة المنعكسة على جانبي الطريق ... أقطع الصمت المطبق محاولة إذابة الجليد قائلة وفضولي يدفعني :-

- أنا منمتش طول الليل . كنت بفكر فى اللي قلته لى امبارح . أنت صحيح تعرفني وتعرف " سعد " ؟! . هوه فين ؟! . أيه اللي حصل له ؟! . احنا صحيح كنّا بنساعدكم فى أيه ؟! .

- أشرف ضاحكا – حيلك حيلك . واحدة واحدة . بالراحة عليّ . بصي أنا وانتِ اتقابلنا قبل كده فى عيد ميلاد " سعد " يوم ٥/٣ . التاريخ ده مش بيعني لك حاجة ؟! . فاكرة اليوم ده ؟! .

- نسرين – مش عارفة ... مش فاكرة .. مش فاكرة حاجة .

- أشرف – اهدى طيب . قولى لي أيه اللي فكراه عن " سعد" ؟ .

- نسرين تخجل أن تسرد عليه تفاصيل علاقتهما وتتظاهر بالنسيان وتقول :-

كل اللي فكراه إننا اتعرفنا على بعض فى الكلية . وكنا بنحب بعض . كمان فاكرة إنه كان غرقان فى دمه .. قل لى أيه اللي حصل له ؟ . هوه مات ؟ .

- أشرف يطرق حزينًا ثم يقول :-

للأسف " سعد " اتقتل بعد ما وصل للعصابة اللي بيتسببوا فى موت العشرات كل يوم . " سعد " اتقتل يا " نسرين " وأنت الوحيدة اللي تقدري توصلينا للمجرمين اللي قتلوه خصوصا إنهم

هما اللي خطفوكِ واغتصبوكِ وهما كمان اللي خبطوكِ بالعربية وحاولوا يقتلوكِ .

- نسرين تشهق لدى سماعها ذلك . ثم تنهمر دموعها على وجنتيها . وتقول بصوت متقطع :-

لأ .. لأ .. أنا فى كابوس . ياريتني ما كنت فقت .

" نسرين " تشرد للحظات وكأنها فى عالم آخر ووجهها آخذ فى الشحوب. ثم تتسع حدقة عينها وتضع يديها على رأسها وتبدأ فى التذكر شيئا فشيئا...

نعم أتذكر الآن جيدا ثلاثة رجال يجذبونني نحو سيارة سوداء من طراز مرسيدس .. أحاول الصراخ فيخدرونني ويضعونني فى السيارة .

أفيق لأجد نفسى ملقاه على الأرض بإحدى الغرف فى بدروم قذر . فجأة يفتح الباب ويدخل رجلان ضخما الجثة بصحبتهما امرأة هيفاء نحيفة ذات شعر أسود شديد الطول يخفي نصف وجهها . لن أنسى قط عينها الخضراء التى تحمل الشر كله حين كانت تحدق فيّ النظر . أخذت تجذبني من شعري وتقول لى :-

شو علاقتك ب " سعد " و" أشرف " ؟ . من إمتى وأنتِ عم تشتغلي معهم ؟ . خبّريني شو حكى لك " سعد " عنّا ؟ . احكي ... ليكِ إذا ما بتحكي وينه هالزلمي ووين متخبي راح خليهم يغتصبوكِ .. ليش ماعم تحكي ؟ . أنتِ هلا خرستي .

تنهال عليّ ضربًا وسبابًا وتقول لي :-

إذا ما بتحكي أنا بقوسك .. أنا بفرجيكِ يا ساقطة . أنا بعرف كيف خلى هالكلب " سعد " يظهر ؟

ثم توجه حديثها إلى الرجلين الضخمين قائلة :-

شباب شوفوا شغلكم ..

كان أحدهما يحمل ألة تصوير ناولها إياها . بدأت تصورني وهما يمزقان ثيابي ويضرباني ضربًا مبرحًا .. كنت أصرخ وأصرخ بلا جدوى . كانا يخفيان وجهيهما ويجعلان خلف ظهريهما ذات الشعر الفاحم التى تصور ما يحدث . ثم أوقفت التصوير بعد ما جردوني من ثيابي و ابتسمت بسخريه قائلة :-

راح بترككم لحالكم هلا .

ثم أطلقت ضحكة عالية جعلت الخوف يسري فى أوصالي ... فى تلك اللحظات كم وددت أن تنشق الأرض وتبتلعني فى جوفها أو

أن يصوب أحدهم فوهة مسدسه نحو رأسي ويضغط على الزناد فأفارق الحياة ويرتفع السر الإلهي ويعود إلى بارئه ؛ لكن شيئا من ذلك لم يحدث !! ...

لم أعد أذكر المزيد ولست أرغب فى أن أتذكر .. أظن أنني قد غبت عن الوعي ولا أدري ما فعلوه بى بعد ذلك !! ..

أبكي بحرقة فيوقف الرائد " أشرف " السيارة وينظر إليّ قلقا ثم يقول :-

" نسرين " . هو أنتِ كنتِ ناسية و أنا فكرتك ؟! ..

أنا آسف يا " نسرين " إني فكرتك بالموضوع ده . أنا عارف إنها أكيد كانت تجربة قاسية جدا عليكِ . حتى البوليس مش عارف لحد النهارده إزاي قدرتِ تهربى منهم ؟! . بس صدقيني كان لازم أقول لك . " نسرين " كفاية أرجوكِ .. متحسسينيش بتأنيب الضمير .

- نسرين وقد انهارت أعصابها -

المهم أنت ضميرك يرتاح . كنت فين أنت وزمايلك لما شرفى اتسرق ؟! . كنتم فين لما سعد اتقتل ؟! . تقدر تقولي احنا ذنبنا أيه فى ده كله ؟! . رد عليا...

أشرف يلتزم الصمت ويطرق بعيدا وقد ترقرق الدمع فى عينيه .
- نسرين – بص لي هنا مبتردش ليه ؟! .. أنت أيه يا أخي ؟! .
تقتلوا القتيل وتمشوا فى جنازته !! . أنتم أكيد مش بنى آدمين.
أشرف يصفعها على وجهها بقوة وقد أطاح الغضب بصوابه فجعل زمام الأمور تفلت من يده . ثم يقول لها -:
"الزمى حدودك . متنسيش نفسك يا " نسرين " .
مرت عليهما لحظات كصمت القبور وكأنها دهر من الزمن خلالها توقفت عقارب الساعة حتى أن الأرض كفت عن الدوران بالنسبة لكليهما ؛ تبادلا خلالها نظرات مملؤة بمزيج من الدهشه والشجن والألم معًا؛ بدا أحدهما للآخر كمخلوق خرافي هبط عليه من السماء قادما من عوالم أخرى لا تمت للبشر بصلة .. كلاهما يرغب فى أن يصرخ أو يركض هاربا ؛ لكن الدهشة عقدت لسانه وجمّدت أوصاله؛ فبدا لوهلة كالأحياء الأموات !!.
ولكن " نسرين " تجرأت وقطعت هذا الصمت الرهيب قائلة والدمع يترقرق فى عينيها :-
أنا آسفه يا حضرة الظابط .. أنا فعلًا اتخطيت حدودي. !!

- أشرف – نسرين. أنا آسف بجد مكنش قصدي. صدقيني أنت مش فاهمة حاجة . " سعد " كان أقرب صاحب ليّا وأنا اتأثرت بموته زيك بالظبط . وكان نفسى تساعديني ناخد بتاره ونقبض على اللي قتلوه .

- نسرين – خلاص كفايه لحد كده. خمس سنين ضاعوا من عمرى هدر قضيتهم وأنا عايشة بالأجهزة وشرفي اتسرق وحبيبي اتقتل. عايزين أيه مني تاني ؟!

- أشرف – خلاص بقى يا " نسرين". أنا أعتذرت لك .

- نسرين – تسمح ترجعني البيت. أنا مش متهمة علشان تحجزني هنا فى عربيتك.

- أشرف – براحتك يا نسرين. أنا عمرى ما هجبرك على حاجة . بس اللي انا عايزك تفهميه إن اللي أنا طلبته منك ده مش علشاني. ده واجبك ناحية بلدك وناحية كل الأبرياء ضحايا المنظمة الإجرامية دي؛ وعلشان دم" سعد " اللي راح هدر وشرفك اللي اتسرق والخمس سنين اللي ضاعوا من عمرك.

نسرين تشرد مليا وتحدق فى الأفق سابحة بعقلها بين شطآن الاحتمالات .. تتأرجح بين رغبتها فى الانتقام وخوفها من

المجهول ؛ بينما " أشرف " يدير محرك السيارة ويهم بالعودة من حيث أتوا حاملا على عاتقه أطنان من الهموم تفوق قدرات البشر على التحمل .. يجر خلفه أذيال الخيبة وتعلو وجهه هالة من الوجوم والكآبة .

أخذت تفكر فى كلماته الأخيرة ثم استوقفته قائلة :-

" استنى مترجعش. دم سعد مش هيروح هدر ".

تهللت أسارير" أشرف" وبش فى وجهي بعد أن انقشعت عن وجهه سحابات الحزن فأشرقت ملامحه وعلاها البشر، ثم تابع القيادة قاصدًا قلعة قيتباي؛ لكننى لاحظت أنه كان يرمقني بنظرات حنونة بين الحين والآخر . فجأة تذكرت أين رأيته من قبل؟ كان ذلك منذ سبع سنوات فى حفل عيد ميلاد " سعد " الذى قال لي فيه وهو يجذبني من ذراعي برفق :-

فى حد عايز أعرفك عليه يا حبيبتى ... نسرين أقدم لك " أشرف " صاحبي الأنتيم ظابط أد الدنيا .

- نسرين – هاي.." سعد " حكي لي عنك كتير.

- سعد" – أشرف " دي نسرين حبيبة قلبي .

- أشرف – أهلًا وسهلًا يا آنسة " نسرين " . على فكرة " سعد " طول الوقت بيحكي لي عنك لحد ما شوّقني أتعرف عليكِ .

ثم يهمس فى أذن " سعد " قائلا:-

حبيبتك زى القمر . يا بختك ياعم.

تبسمت " نسرين" حتى ظهرت أسنانها ناصعة البياض حين تذكرت تلك الواقعة. " أشرف " ينظر إليها بفضول متسائلًا . فتقول له:-

أيه ؟. بتبص لي كده ليه ؟ ... آه علشان بضحك .. وبعدين أنت مالك أصلا بضحك على أيه ؟.!

- أشرف – هوه أنا سألتك؟ . ميهمنيش أعرف.

- نسرين – كده. طيب. أهي دقني أهه لو قلت لك.

- أشرف – خلاص بقى. قولي ياللا أنتِ شوقتينى أعرف.

- نسرين – افتكرتك. مش أنت اللي كنت بتقول للمرحوم " سعد " فى ودنه إني زي القمر.) تقول ذلك ضاحكة(

- أشرف يشيح بوجهه عنها خجلا وقد اعتلته حمرة خفيفة ويقول:- هو أنتِ سمعتينى يومها ... طيب الحمد لله إنك افتكرتِ.

- نسرين معاتبة إياه- الظاهر كده إن الألم اللي ضربته لي فكرني بيك.

- أشرف – ياربي. أنتِ لسه زعلانة مني؟. أنا بجد اسف.

- نسرين – وأنا اعمل أيه بأسفك دلوقت ؟! . أنا خدي بيوجعني.

- أشرف – أعمل أيه علشان تسامحيني؟!. هاتي راسك أبوسها.

ولدهشتها أمسك برأسها وقبلها على جبهتها بالفعل . وأكثر ما أثار عجبها فى تلك اللحظات أنها شعرت حينها بقشعريرة لذيذة ونشوة خفية لم تجد لها تفسيرا ؛ ولكنها حاولت جاهدة أن تخفى ذلك فقالت له ضاحكة :-

أنت بتعمل أيه يا مجنون ؟!. خلاص. خلاص سامحتك.

- أشرف – يعنى صافى يالبن.

حين فعل فعلته تأكدت أنه لابد أن يكون أقرب صديق للراحل "سعد" فهما متشابهان فى طيشهما وجرأتهما وخفة ظلهما. أخذنا نثرثر ونضحك طوال الطريق؛ واكتشفت أنه ذو شخصية جذابة ولطيفة وأنه مثقف للغاية.

حين وصلنا إلى قلعة قيتباي أردنا أن نجلس فوق مجموعة من الصخور العالية التى وقفت صامدة أمام أمواج البحر العاتية طوال تلك السنين.

صعد " أشرف " فوق إحداها، أما أنا فعجزت عن الصعود.. مد يده لأتمسك بها وأصعد إلى جواره . ولدهشتي انتابتنى تلك القشعريرة ذاتها من جديد...

حين نتلامس ..أحلق فى سماوات النشوة مدفوعة بجنون الرغبة وهاربة من مرارة الواقع وقسوته .. تدب الحياة فى جسدي من جديد وأكاد ألامس النجوم .. على شطآنك أجد ملاذي ولكن هل أجد لى متسعا بها ؟! . وهل تشعر أنت بذلك ؟! ..

يا إلهي. ما الذى يحدث لي ؟ !!. أفيقى يا " نسرين " فأنت فى مهمة ولم تقطعة كل تلك المسافة للهو والعبث.

مستحيل أن تقعي فى غرام ذلك الضابط الشاب فأنت لم تعرفيه من قبل . لابد أن هناك سببًا آخر يقف وراء شعورك هذا .

فلعل سبب ذلك الشعور أنه صديق حبيبى الراحل ووجود هذا التشابه الكبير بين شخصيتيهما . إنه ضابط مخابرات وأنا فقط

أعاونه فى تلك القضيه لا أكثر ولا أقل ولا ينبغي أن تتخطي علاقتنا تلك الحدود.

أصنع من أحلامي مركبًا ومن الأمل شراعًا وأبحر بعيني فى عوالم أفضل أتخلص فيها من كوابيسي المظلمة وتلك الأشباح التى تتربص بي وتهم بقتلي في أي وقت .. وبينما أنا على حالى شارده أفكر ؛ جعل هواء " عروس البحر المتوسط" قبعتي تطير فى الهواء.

وقبل أن أتدارك الأمر كان " أشرف " قد أمسك بها وجلبها إليّ.. ضبطه يمعن فيّ النظر وفي شعري المتطاير من حولي وفستاني الذى ألصقه الهواء بجسدي. أقطع عليه تأملاته في قوامي قائلة :- أيه مالك؟ . ! فى حاجه ؟ ! .

- أشرف مرتبكا وقد عاد إلى وجهه ذلك اللون الذى يصبغه حين يشعر بالخجل – لا أبدًا. أنا آسف سرحت شويه . كنا بنقول أيه ؟ بعد ذلك أخذ يقص علي كل ما يعرفه عن المنظمة الإجرامية وعما يفعلونه وأنا أنصت إليه باهتمام بالغ، أخذت على نفسي عهدا بأن أطرد من رأسي الأفكار الجنونية مراعاة للظروف الحالية وإكراما لذكرى الراحل ..

كم استمتعنا برؤية البحر ومشاهدة الأمواج والسفن والناس الذين جاءوا من كل مكان.

ولكن سرعان ما مضى الوقت سريعا . لا أصدق أننا قضينا بضع ساعات هناك .

كانت الشمس توشك على المغيب وقد صبغ الأفق بحمرة الغروب التى انعكست على سطح الماء .. كم أعشق احتضار الشمس كل يوم ورغبتها فى الحياة التى تدفعها إلى العودة من جديد لتشرق فى كل صباح فتضيء الدنيا وتبعث الحياة فى الكائنات .. أشعر وكأن هناك ثمة قاسم مشترك بيني وبينها ؛ فها أنا ذا عدت من بين تعداد الأموات لأحيا من جديد .. تغلبت على كل تلك الصعوبات – وما خفي كان أعظم – وفى النهاية تمكنت من النجاة .. لعل السبب هو حبي أنا أيضا للحياة الذى دفعني للعودة ؛ ولكن هل سيكفي ذلك لينجيني هذه المرة ؟! .. قلبي ينبؤني بأن وابلا من الصعوبات سيصب فوق رأسي ...

نظرت إلى ساعة يدي ؟ . فوجدتها السادسة، يبدو أن الوقت يمضي برفقته سريعًا .

أخبرت " أشرف " بأنه يتعين عليّ الرحيل؛ فمن الضروري أن أزور صديقتي " مها " التي وضعت مولودها بالأمس.

نركب السياره ونشق طريقنا نحو " الهانوفيل " حيث تسكن " مها " حين وصلنا قال لي الضابط الشاب :-أهه ياستي ادينا وصلنا عند بيت صاحبتك.

- نسرين – ميرسى يا سياده المقدم.

- أشرف – هو أنتِ خليتي فيها مقدم. أنا دلوقت سواق نسرين هانم... (يقولها ضاحكًا) .

- نسرين – على العموم يا سيدي ميرسي مرة كمان؛ وعلى فكرة كان يوم جامد .

عندما تخرج نسرين من سياره المقدم يظل ملاحظا إياها ببصره حتى تصعد الدرج وتختفي عن الأنظار يهمس لنفسه قائلا :- بنت حلال نسرين دي.

****

حين أطرق على باب " مها " تفتح لى ابنتها الصغرى – ذات الجديلتين والقوام الضئيل والوجه الحسن الذى يشبه وجه أمها - فأضمها إليّ وألثم وجنتيها . ثم أسالها عن أمها . فتجيب بأنها

ترتاح قليلا فى غرفتها بعدما أرضعت الصغير ؛ فأطلب منها أن تعلمها بحضوري .

" ريم " تلمحني فتقبل عليّ وتحييني ثم تصطحبني إلى الشرفة وتقول لي هامسة :

فكرتي فى الموضوع اللي قلت لك عليه ؟

- نسرين متسائلة – موضوع أيه ؟!.

- ريم – أيه يابنتي الزهايمر ده؟!. من امبارح للنهارده لحقتي تنسي موضوع " مها " وجوزها.

- نسرين – آه. أيوه. أنا معاكِ. لازم نحاول نرجعهم لبعض.

- ريم – طيب هنعمل أيه ؟!

- نسرين – أنتِ تعرفي جوزها أساسًا ولا لأ ؟

- ريم – آه . شفته كام مرة كده .

- نسرين – يبقى الأحسن تكلميه أنت وتقولي له إننا عايزين نقابله ضروري ؛ وتحكي له عن البيبي الجديد.

- ريم – طيب وهنجيب رقمه إزاي ؟!

- نسرين – أنا هشغل " مها " وأنتِ هاتِ الرقم من موبايلها .المهم دلوقت هدخل لها بدل ما تشك فينا ولا تزعل مني عشان سايباها وقاعدة معاكِ .

كان علينا أنا " وريم " القيام بأعمال منزل " مها " والاعتناء بأطفالها حتى تسترد عافيتها عقب عملية الولادة القيصرية التى أجريت لها أمس . وتساعدنا فى ذلك جارتها " صفاء " بالتناوب معنا . فصديقتنا ليس لديها أخوات يساعدنها وأمها عجوز لا تطيق ذلك . بعدما انتهينا من كل هذا تنفست الصعداء وشعرت بالراحة، ودّعنا " مها " ومضينا نهبط الدرج إلى الأسفل .

همست إلى صديقتي " ريم " قائلة :-

- جيبتي الرقم ؟. أنا معرفتش أتكلم فوق قدام " صفاء ".

- ريم - طبعًا يابنتي جيبته. هو أنا شوية ولا أيه ؟ .

- نسرين - أيوه يا أختي اترسمي. اللي يشوف كده يقول إني مش بساعدك. المهم بس تكلمي الراجل.

- ريم – هكلمه النهارده بإذن الله.

- نسرين – طيب أنا هركب تاكسي. هتيجي معايا ولا جوزك جاي يوصلك ؟

- ريم – لا استني ما توقفيش حاجة. هيوصلنا احنا الاتنين. لسه متصل بيا من شوية وقال لى قدامه دقايق ويوصل.

- نسرين – بس أنا مش عايزة أتعبه معايا وممكن كمان يكون فيها إحراج ليه.

- ريم – ليه يعني يابنتي ؟. هتتعبيه فى أيه ؟. وبعدين ده حتى " أحمد " جوزي بيعزّك.

****

لم تبت أمي تلك الليلة فى منزلنا؛ بل باتت ليلتها عند ابنة خالتها فى سموحه وتركتني أمضي ليلتي وحيدة فى الفيللا .

أستجدي النوم لكنه يبدو مصرّا على الفرار مني على الرغم من أن جسدي متعب وثقيل .. لست أدري ما سبب ذلك الأرق الذى داهمنى الليلة؟ .. لعله غياب أمي أو لقائي بأشرف وما دار بيننا ، وربما كان موضوع صديقتي " مها" ومشكلتها مع زوجها يشغل بالي وتفكيري ...

خرجت إلى الشرفة لأحتسي كوبا من شراب الشيكولاته بالحليب وأستمع إلى الألحان المنبعثة من المسجل التى اختلطت بهدير أمواج البحر وصرير صرصور الزرع وصوت فيروز تقول :-

" بكتب إسمك يا حبيبي ع الحور العتيق .. تكتب اسمي يا حبيبى ع رمل الطريق .. "

حتى تسلل النعاس إلى أجفاني فزحفت إلى مهجعي . وفي اليوم التالي استيقظت مبكرا عند سماعي لصوت رنين هاتفي المحمول. أتثاؤب وأتريّث قبل أن أجيب لأرى من الذى يتصل بي فى هذه الساعة؟!

كان " أشرف " هو المتصل. تساءلت ما الذي يبتغيه؟!. وهل هو أمر طاريء؟.

أجيبه بصعوبه قائلة بصوت ناعس :-

- ألو يا" أشرف " . ازيك ؟

- أشرف – صباح الخير. أنا صحيتك ولا أيه ؟

- نسرين – أنت بتهرج يا " أشرف ". الساعة ستة الصبح.

- أشرف – على العموم أنا آسف على الإزعاج . بس ياللا قومي بسرعة. عندنا مشوار مهم.

- نسرين – مشوار أيه دلوقت ؟!.

- أشرف – فى حد عايز يقابلك ضروري.

- نسرين – حد مين يا أشرف ؟ أنا عايزه أنام. خلي الحد ده يستنى لما أبقى أصحى من النوم .

- أشرف ضاحكا – يابنتي فوقي. تنامي ده أيه ؟. أم المرحوم " سعد " عايزة تشوفك ضروري.

- نسرين تتحدث بصوت أكثر جدية قائلة :-

أيه؟ أنت بتقول أيه ؟!!. وهى أم " سعد " تعرفني منين ؟! .

- أشرف – مش عارف بس بتقول عندها حاجة مهمة عايزة تديهالك .. يالا اجهزي بسرعة علشان نلحق القطر لإنها زب ما أنتِ عارفة عايشة فى المنيا. عايزين نروح ونرجع فى نفس اليوم.

- نسرين – يا خبر يا " أشرف " .!! أنت أكيد بتهزر إزاي عايزنا نروح المنيا ونرجع فى نفس اليوم ؟.

- أشرف – يالا يا " نسرين ". بلاش دلع .

- نسرين – طيب خلاص هقوم. أعمل أيه بس يا ربي ؟ حكم القوى...

الذكريات القديمة والهواجس الجنونية تتناوبان على عقلي الذي بدا مشلولا عن التفكير ...

بين نداء الواجب والحب القديم وبين خوفي من أن تدفعني أمواج الفضول للاصطدام بصخور الواقع المرير أقف حائرة .. أتساءل ما الذى ستحمله لي تلك الزيارة ؟! ...

أشعر وكأننى فى عرض البحر، أركب قاربًا ممزق الأشرعة والصخور تحيطني من كل جانب، الرياح تعصف بشدة والأمطار تهطل بغزارة وتغمر مركبي .. رائحة الموت تطاردني حيث لا مفر من الهلاك ... أرفع أكف الدعاء وأقول يارب ..

****

أمضينا ساعات فى القطار ولكني لم أشعر بطول المسافة لأني قضيت الطريق نائمة. أراهن على أن "أشرف" قد شعر بالوحدة على عكسي تماما، ولكن لا بأس فقد نال الجزاء العادل الذي يستحقه لأنه تجرأ وأيقظني من النوم باكرًا . حين وصلنا إلى المنيا لم يكن من الصعب علينا أن نصل إلى منزل عائلة "سعد" رحمه الله . لأن عائلته واحدة من أشهر عائلات البلدة.

استقبلتنا المرأة العجوز المتشحة بالسواد ذات البشره السمراء والأسنان البيضاء بترحاب شديد. وكانت فى انتظارنا وليمة أشرفت على إعدادها بنفسها وعللت ذلك بأننا من ريحة المرحوم.

رغم كل ذلك شعرت بحزن دفين يعتصر قلبها حزنًا وكمدًا على ابنها الراحل . إلاّ أن كبرياءها وعزة نفسها أبيا أن يعلنا ذلك.
ربتت على كتفي ثم قالت لي وعلى ثغرها ابتسامة باهتة :-
المرحوم ابني كان ذوقه حلو أوي ز أنتِ فعلًا جميلة زي ما حكى لي عنك ....
ثم تنهدت وقالت :-
كنا بنحلم باليوم اللي نيجي فيه نطلب إيدك من أهلك... كان نفسى أشوفك يا" نسرين " يابنتي. بس ما تصورتش إن هيجي اليوم ده ومايكونش "سعد " معانا.
جعلتني كلماتها انخرط فى بكاء مرير وهكذا فعلت هي أما " أشرف " فقد كان أكثر منّا تماسكًا أو على الأقل هكذا بدا لنا . وأخذ يهدأ من روعنا أنا والأم الثكلى.
امتزجت دموع قلبينا المفطورين اللذين تعتصرهما مرارة الفراق .. سادت لحظات من الصمت المخيف تشوبها زفرات حارة ؛ ولكن الرائد "أشرف " قطعها حين سألها عما أرادت أن تعطيه لي.

عادت المرأة الصعيدية لتضع قناع التماسك وتخفي ورائه حزنها ووهنها وبدت أكثر صرامة حين قالت :-

"سعد" ابنى قبل ما يتقتل بكام يوم كان هنا. والظاهر إن قلبه كان حاسس. إدالي ظرف. وقال لي:-

" يا ماما لو حصل لي حاجه إدي الظرف ده لـ " نسرين " ...استنني لحظة يا بنتي هروح أجيبه لك.

بعدما أعطتنى اياه وهممنا بالرحيل نظرت إليّ بحنان قائلة :-

اوعي يا بنتي تصدقي اللي اتقال. ابنى " سعد " مستحيل ينتحر. ربنا اللي عالم هو أد أيه حب الحياه بعد ما عرفك وكان كل أمله تبقي مراته وأم عياله.

- قلت لها :

اتاكدي يا طنط إن أنا مستحيل أصدق كلام الناس. أنا عارفة " سعد " كويس كان عنده هدف عاش ومات علشانه . يارب بس دمه ميروحش هدر.

ودعناها ورحلنا بعدما نبشت تلك الزياره جرحى القديم وجعلته ينزف من جديد كنت أسير ببطء والحزن يعتصر قلبي أشعر بإنني

أحمل هموم العالم كلها فوق كاهلي، لكن " أشرف " سرعان ما استوقف لنا سيارة أجرة لتنقلنا إلى محطة السكة الحديدية.

ظللت صامتة طوال الطريق. أفكر فى كل ما جرى لى منذ ان أفقت تلك الليلة فى المستشفى . شعر " أشرف "بما يجول فى خاطري وما يحمله قلبي من أتراح فحاول مواساتي والتخفيف عني.

اتصلت بي أمي مرات عدة قبل أن أجيب على اتصالها كان صوتها يوحي بالقلق والخوف الشديد حين سألتني قائله :-

أنتِ فين يابنتي؟!. ما بترديش ليه؟!. أنا كنت هموت من القلق عليكِ .

اضطررت إلى أن ألجأ إلى الكذب. فقلت لها:-

أنا بجيب طلبات لبيت "مها" ما أنتِ عارفة يا ماما إني بروح لها كل يوم عشان هى لسّه والدة.

- طيب يا بنتي ربنا معاكِ. المهم متتأخريش وابقي ردي عليا لو كلمتك.

حين توقف القطار وغادرنا المحطه ركبنا سيارة " أشرف ". ولكن أبى فضولنا أن يدعنا نخطو خطوة واحدة قبل أن نفتح

الظرف آخر ما تبقي لي من حبيبي الراحل. رأينا فيه معلومات خطيرة سلمتها للرائد أشرف، ووجدت خطابًا كتبه " سعد " من أجلي لم أقرأه إلاّ عقب عودتي إلى المنزل وانفرادي بنفسي فى غرفة نومي.

****

فى شرفة واسعة مطلة على البحر بمنطقة ميامي جلست فتاة فى مثل عمر نسرين تتصل هاتفيا بآخرى تكبرها بعقد من الزمن .. نسمات صيفية عليلة تعبث بخصلات شعرها الكستنائي المسترسل .. عيناها البنيتان تحدقان في الأفق حيث تمتزج زرقة المياه بزرقة السماء التى تشوبها سحابات هزيلة .. تنتظر طويلا حتى تجيب الأخيره ذات الطباع الحادة والمزاج المتقلب ويصل إلى أسماعها صوتها المتحشرج الذي أفسده الدخان والشراب الذى تحتسيه بشراهة تقول :-

- أيوه يا لوجي. ازيك ؟

- لوجي – أيه يا شروت فينك؟ . ولا حس ولا خبر.

- شروت – أبدا مفيش. أنا بس مشغولة شوية الأيام دي.

- لوجي – عندى ليكِ خبر بميلون جنية.

- شروت – قولي. خبر أيه ؟!.

- لوجي – فاكرة "نسرين يوسف"؟

- شروت عابسة – وهى دي تتنسي؟.

- لوجي – طلعت لسّه عايشة؛ وقال أيه فاقدة الذاكرة!!.

- شروت – وقد اتسعت عيناها وارتفع حاجباها إلى الأعلى وبدا الاندهاش جليا على صفحة وجهها المغطى بمساحيق التجميل–:

نعم !!. أنتِ بتقولى أيه ؟!.

- لوجي – بقولك نسرين لسه عايشة. والله يا شري.

- شروت – إزاي الكلام ده ؟ !!.

- لوجي – كانت فى غيبوبة وبقدرة قادر صحيت.

- شروت غير مصدقة – وأنت عرفتى منين الكلام ده ؟!

- لوجي – من ريم " صاحبتها " قابلتها بالصدفه فى النادي وفرجتني على صور فرحها وكانت متصورة معاها نسرين. أنا اتفاجئت زيك بالظبط ولما سألتها قالت لى زي ما قولت لك دلوقت.

- شروت – غريبة !! طيب بصى. أنا هقفل دلوقت وهكلمك تاني. ماشى . سلام.

تنفث دخان سيجارتها وتنظر فى الأفق والشرر يتطاير من عينيها الماكرتين والحقد يلوح على وجهها الذى بدأت تعلوه بوادر التجاعيد رغم أنها لم تبلغ الأربعين بعد !!. ثم تمسك بهاتفها النقال وتجري اتصالا هاتفيا آخر:-

آلو. أيوه يا دارين. في مصيبة مش هينفع أحكي لك على التليفون. الموضوع خطير. لازم نعمل اجتماع فى المقر بتاعنا الليلة وإلاّ كلنا هنروح فى ستين داهية.

تنهي المكالمة وتجرى اتصالا جديدا وفور أن تسمع صوته تقول:-

آلو يا " مارك ". اجمع لى الرجاله النهارده فى المقر. أيوه اعمل زي ما بقولك. الموضوع خطير. خلاص ماشي. الساعة ١٢ .. سلام .

****

فى منطقه نائيه بالساحل الشمالي حيث يندر أن يجد البشر طريقهم إليها خاصة في فصل الشتاء. وحينها لا تسمع هناك سوى سيمفونيه صنعتها صوت الرياح وهدير أمواج البحر وحفيف أوراق الأشجار القليلة المتناثرة فى حدائق الفيللات.

وأمام إحدى تلك الفيللات وقفت أكثر من سيارة فارهة تنتظر دورها لتقف فى موقف السيارات داخل الفيللا. تنزل من إحداها امرأة هيفاء ذات شعر أسود فاحم طويل يخفى الجانب الايمن من وجهها ويذرالآخر. إنها نفسها تلك المرأة التى لم تنسها "نسرين" ولم تنس عينيها الخضراوين تدعى " دراين " لبنانية ذات أصول يهودية، وتحمل اكثر من جنسيه . تبدو على غير حقيقتها فى أواخر العشرينات من عمرها على الرغم من أنها شارفت على الأربعينيات، تدور حولها الكثير من الشائعات البعض يقول إنها مهربة من أخطر المهربين فى العالم، وآخرون يرون أنها جاسوسة تنقل الأسرار العسكرية الخاصة بأي بلد كان ولا تعمل لصالح جهة معينة أو بلد بعينه؛ فكل ما تأبه له هو المال. قضيت سنوات من عمرها فى إيطاليا، ويقال إنها عملت مع المافيا الإيطالية وتتعاون مع الموساد الاسرائيلي. الغريب فى الأمر أنه بين كل تلك الشائعات لا يوجد شيء مؤكد ولا دليل واحد على صحتها!!.

وإلى جوار" دارين " كان هناك رجلان ضخما الجثة حليقا الرأس أجشا الصوت يعملان كحارسين شخصيين لها. أخذا

يسيران إلى جوارها حتى دخلت إلى قاعه الاجتماعات التى ينتظرها فيها بقية أعضاء فرع المنظمة الاجرامية فى البلاد. على رأس المائدة المستطيلة جلست " دارين " وقبالتها قعدت " شروت " التي استهلّت الاجتماع بقولها :-

- أظن كده إن كلنا موجودين. بيتهيء لي ممكن أبدأ.

- دارين: شو هو الموضوع اللي بدك تخبرينا إياه ؟!

شروت " :نسرين يوسف " . فاكرينها؟.

- دارين: شو !! ليكون قصدك هالبنت اللي " مارك" قتلها؟

- شروت : ماقتلهاش. لسه عايشة.

- دارين: شو حبيبتي !! أنتِ شو عم تحكي ؟ !

- شروت: زي مابقولك " نسرين " عايشة أنا متأكده.

- دارين موجهة حديثها لشاب أشقر يبدو من ملامحه أنه أجنبي:-

" مارك " احكي. فهمني شو اللي عم بسمعه ؟!. ليش كذبت عليا؟!.

- مارك: أنا قتلتها. مش بكدب صدقيني.

- دارين تشهر سلاحها فى وجهه وتقول له :-

لساتك عم بتكذب !! . أنت بتعرف شو هي عقوبه اللي يكذب عندي ؟.. الموت .

الشاب ينظر إليها بتوسل وقد أدرك أنه هالك لا محاله و" دارين " تهم بالضغط على الزناد لتفجر رأسه ولكن شروت تقاطعها قائلة:- استني لحظة "مارك" مش بيكدب. هو قتلها فعلا .

- دارين: ليكِ " شروت " إذا كان بدك تتمسخري عليا .....

- شروت مقاطعة إياها: استني بس افهمي، كانت ميتة إكلينيكيا وصحيت.

- دارين : يالله كيف صار هيك ؟ ! شو هالحظ ! ؟ وأنتِ كيف عرفتِ ؟.

- شروت : من واحدة اسمها " لوجي ". كانوا صحاب هي و" نسرين " من أيام الكليه بس دلوقت لأ، دي قصة طويلة أوي.

- دارين: شو هالمصيبة ... هالبنت صار لازم تموت. عن جد بدي قوسها بيدي .

- شروت : استني بس . فى احتمال ماتكونش خطر علينا ونتجنب الشوشرة. لأنها تقريبا فاقدة الذاكرة تماما، لوجي قالت لى كده.

- دارين: شروت لا تكون مو هي ؟!

- شروت: إزاي يعني ؟!

- مارك : "دارين هانم " قصدها إنها ممكن تكون واحدة شبهها شغالة مع البوليس اللي حاطتها طعم لينا، يعني فى الحالة دي المفروض مانتهورش ونقتلها لأن البوليس هيعرف كل حاجه ونروح فى داهية.

- دارين: من وين جيبت كل هالذكاء ؟ ... والله هالغبي طلع له فايدة.

- شروت: طيب ليه يعملوا كده ؟ اشمعني دلوقت بالذات ؟!

- مارك: ممكن على ما لاقوا واحدة شبهها، أو كانوا مستنين يلاقوا معلومات معينة. ويمكن استنوا لما الموضوع اتنسى.

- شروت: احتمال وارد. طيب والعمل أيه؟.

- دارين: بدى اتنين من رجالتنا يراقبوها. زلمي يراقب " نسرين" والتاني يراقب بيتها. وأنتِ يا " شروت " حاكِ " لوجي " وخليها تقابلها وتتأكد إنها " نسرين " وإنها فاقدة الذاكرة ولا عم بتكذّب.

- شروت: أوكي.. في حد عنده أسئلة تانية ؟

- أحد رجال العصابة: بالنسبة لشحنة الأغذية الفاسدة اللي عايزين ندخلها مصر هنعمل أيه بالظبط ؟ الناس مستعجلين عليها ومستعدين يدفعوا عشرة مليون دولار.

- شروت :هنسق معاك يا شربيني.

****

فى اليوم التالي استيقظت من نومي فى وقت متأخر نظرا للإجهاد الشديد الذى تعرضت له ليلة أمس. أعد فنجانا من القهوة على الريحة، بعدما غسلت وجهي وأسناني أمسكت بهاتفي المحمول لأرى إذا كان أحد ما قد اتصل بي وأنا نائمة. تفاجأت كثيرا حين رأيت أن الرائد "أشرف" قد اتصل أكثر من عشرين مرة.

شعرت بالقلق ينتابنd حينها و تساءلت ما الذى يحدث؟!

أعيد الاتصال به لأعرف ما يجرd. وصلنى صوته قلقًا و مضطربًا حين قال لي :-

نسرين . قلقتيني عليكِ ، مش بتردي ليه ؟!

- نسرين : بالراحة عليا يا حضرة الضابط مش تقول صباح الخير الأول.

- أشرف : قصدك مساء الخير. الساعة ١٢ الظهر.

- نسرين : يا خبر راحت عليا نومة. خير فى حاجة حصلت يا أشرف ؟!

- أشرف : للأسف بيتك متراقب.

- نسرين : أنت بتقول أيه ؟ ... يعنى العصابة عرفت إن أنا لسه عايشة .... أعمل أيه يا ربى ؟! أكيد هيحاولوا يقتلوني. يعني ماما كده فى خطر عليها هي وكل اللي أنا أعرفهم.

- أشرف : اهدي يا نسرين. متعمليش فى نفسك كده. ربنا وحده اللي عالم أنا قلقان عليكِ أد أيه .. بس اطمني أنا مش عايزك تقلقي خالص لأن رجالتنا لابسين مدني وبيراقبوهم و بيحموكِ متخافيش.

- نسرين : مخافش إزاي يا أشرف ؟. مش كل مرة تسلم الجرة .. و بعدين سيبك منى أنا . ماما ذنبها أيه ؟ .. وصحابي ..

- أشرف : متخافيش جمّدي قلبك شوية يا " نسرين ". لازم تمارسي حياتك بشكل طبيعي علشان محدش فيهم يشك فيكِ و يعرفوا إنك فاكراهم و إنك بتتعاوني معانا.

- نسرين : طيب ربنا يستر . شكلك هتودينى فى داهية يا أشرف. نواقيس الخطر تدق بقوة تزلزلني وتعصف بكياني .. ضربات قلبي تتسارع فى الخفقان وأنفاسي تعلو وتتصاعد .. عقارب

الساعة تتحرك ببطء ورتابة .. تزداد هواجسي جنونا .. مرهفة السمع ويكاد أن يغشي عليّ كلما التقطت أذناي صوتا من الخارج..

****

" شروت " تتمدد على أريكة فى الشرفة الواسعة المطلة على حديقة منزلها الفخم.

وبأصابع مرتعشة تشعل سيجارة وتضعها بين شفتيها وتأخذ منها نفسًا عميقًا وتنفث دخانًا كثيفًا. ثم تمسك بهاتفها المحمول و تجرى اتصالًا هاتفيًا .. تصمت قليلًا ثم تقول :-

- ألو .. أيوه يا لوجي .. مساء النور. اسمعي أنا ما نمتش طول الليل بعد الكلام اللي حكيته لي امبارح .. كلام أيه ؟! .. على "نسرين يوسف" طبعًا.

- لوجي : تصدقى إنك فاضية. "نسرين" أيه اللي شاغلة بالك بيها و مش منيماكِ الليل؟! .. أنتِ عندك فراغ يا "شرى" بتكلم جد عارفة لو فى حد فى حياتك مكنش ده هيبقى حالك. أنا مش عارفة بس أنتِ ليه مش عايزة تتجوزي تاني؟

- شروت : شوف البت أقولها أيه تقول لي جواز!!.. جواز أيه و زفت أيه دلوقتي ؟ .. أنتِ عبيطة يا بنتي ولا بتستعبطي.. البت دي خطر عليا و عليكِ.

- لوجي : أنتِ بتبالغي أوي يا "شروت" خطر علينا إزاي يعنى ؟! وبعدين أنتِ عايزاني أعمل لك أيه ؟ "نسرين يوسف" بسبع أرواح بعد الحادثة اللي حصلت لها وبعد ما كانت ميتة صحيت... عمرها كده هنعمل أيه يعني ؟!.

- شروت : بقولك خطر علينا .. تعرف عننا بلاوي .

- لوجي : مش عارفة ليه ساعات بخاف منك !! . بلاوي أيه بس ؟!! . أنتِ بالطريقة دى بتحسسيني إننا قاتلين قتيل ولّا عاملين مصيبة . وبعدين احنا كمان نعرف عنها حاجات مش لطيفة . أنتِ ناسية شرب السجاير و الخمور وسى سعد بتاعها.. خلي الطابق مستور ده احنا فى الهواء سوا ... و كمان دي حوارات قديمة.. كنا صغيرين و طايشين و دلوقت الاوضاع اختلفت .

- شروت : بت أنتِ. أنا سايباكِ ترغي من الصبح على كيفك. بس قسما عظما يا "لوجي" لتروحي تقابليها ورجلك فوق رقبتك علشان تتأكدي إنها فاقدة الذاكرة ولا لأ.

- لوجي : آسفة. قابليها أنتِ أنا مش شغالة عندك علشان تكلميني بالطريقة دى و بعدين أنا مش بطيقها.

- شروت : معلش مش قصدي أضايقك أو أديكِ أوامر . أنا بس قلقانة و مش نايمة خالص من امبارح . غصب عنى يا حبيبتي.

- لوجي : خلاص . حصل خير . انسى بقى الموضوع ده و كبّري دماغك.

- شروت متخابثة : أنا معنديش مانع ... بس متنسيش إنها شافت فضيحتك مع " حازم " لما كنتى سكرانة و لاقيناكِ أنا وهي معاه على سرير واحد عندي فى الفيللا ليلة رأس السنة. فاكرة ولا تحبي أفكّرك؟. و أظن بقى إنك متحبيش أبدًا إن خطيبك الدكتور "عاصم" اللي حفيتِ وراه سنة كاملة يعرف وخصوصا بقى إنه لسه كاتب كتابه عليكِ الأسبوع اللي فات. و هتبقى مصيبة سودا لو "حازم" بعت له الشرايط إياها اللي عنده. يا ترى عندك فكرة أيه اللي ممكن يحصل وقتها ؟ .

- لوجي : كفاية يا "شروت ... " أنتِ بتذليني ولا أيه ؟!.

ده موضوع قديم وراح لحاله . صفحة سودا من حياتي وقفلتها . والزفت " حازم " راح فى داهية ومش راجع مصر تاني . ليه كل

شوية بتتعمدي تفكريني بالموضوع ده كل أما أحاول أنساه ؟!! . كأنك بتعايريني .

- شروت : لأ طبعًا. مش زي ما بتقولي . أيه التخريف ده اللي بتقوليه ؟!! . مش مفروض تخدي الأمور بحساسية لأن اللي أنا بقوله ده اللي حصل. أنا مش بتبلي عليكِ ولا أيه ؟ . قولي لي لو كنت بتبلي عليكِ.

- لوجي : مش عارفة ليه شميت فى كلامك ريحة تهديد؟.

- شروت : تهديد أيه يا عبيطة ؟ . احنا أصحاب و زي الأخوات بالظبط .

- لوجي : يعنى أعمل أيه طيب ؟ . أنا بيتهيء لى إن معاكِ حق . طيب أنت رأيك أقابلها ؟.

- شروت : أكيد . ودي عايزة كلام؟.

- لوجي : طيب ماشى . هعصر على نفسى لمونة و أروح.

بعد أن أنهت لوجي المكالمة ، تتنهد و تقول :-

" أنا اللي استاهل كل اللي يجري لي علشان حكيت لها. كان مالي ووجع القلب ده ؟ . أنا اللي جيبته لنفسي . "

ثم تمسك برأسها وتطرق إلى أسفل لتشرد وتعود بذاكرتها إلى تلك الليلة المشؤمة التي مضى عليها سبع سنوات.

حاولت كثيرا أن تنسى أو تتناسى، لكن الذكريات البائسة كانت تنهال عليها كسياط تلهب جسدها وتوقظ فيه الأحقاد القديمة .. تذكرت كيف ثملت فى ليلة رأس السنة ولم يكن هناك أسهل من أن يحملها " حازم " عشيقها القديم إلى الفراش بإحدى غرف " فيللا شروت ".

ثم تطبق بكلتي يديها على رأسها مطرقة لأسفل وقد ضاقت حدقتا عينيها وعبست ملامح وجهها حين عادت إلى مخيلتها ذكرى أن "شروت" و"نسرين " وجدتاها نائمة فى أحضانه بعدما كان الفأس قد وقع فى الرأس. وبالطبع لم تعلم "لوجي" بالمؤامرة التى دبرتها "شروت" لها بمساعدة "حازم" انهارت بعد تلك الفضيحة إلاّ أن "شروت" قد هدأت من روعها ونصحتها نصيحة مسمومة. حيث قالت لها:-

متخافيش بنات كتير غيرك عملوا كدة ومفيش حد عرف حاجة. أنا هوديكِ لدكتور يعمل لك عملية ترجعك بنت تاني. بس المهم تسايسى "حازم" علشان يتجوزك أو يستر عليكِ وميفضحكيش.

وما إن مضى أسبوع حتى تحقق ما خشيته. فقد علمت بأنه قام بتصوير تلك الليلة الحمراء التى قضياها سويا. وبدأ يهددها ويبتزها لتأتي له في شقته حتى لا يفضحها. واستمرت تلك المأساة لعام كامل حتى جاءها الخلاص ذات ليلة حين سافر "حازم" إلى أمريكا.

****

حاولت جاهدة أن أقتل الوقت؛ فأنا لم أعد أطيق ذلك الشعور بأن الخطر يحوم حولي ويتربص بي منتظرًا الفرصة المناسبة لينقض عليّ ويغرس مخالبه وأنيابه فى جسدي ليمزقه شر ممزق فى أية لحظة؛ حينها ستكون حتمًا نهايتي هذه المرة. لم أستطع منع قلبي من الخفقان بعنف حتى أنني تصورت للحظة أنه سوف يثب عاليًا خارج جسدي . أحببت أن أصرف نفسي عن التفكير فى الأمر بأن أشغلها فى شيء مفيد . أشرع فى صنع وجبة البيتزا الإيطالية، ولكن يبدو أن حالة من سوء الحظ لازمتني فى هذا اليوم حيث أفسدت العجين بغير قصد . هاتفى المحمول يرن ... أستغرق بعض الوقت حتى أغسل يديّ لأتخلص من آثار وبقايا العجين التى

علقت بها ثم أجففهما بمنشفة نظيفة وأضع سماعة الهاتف بجوار أذني وأقول :- آلو.

أسمع صوت "ريم" تقول لي :-

"عندى ليكِ أخبار حلوة . مش جوز "مها" رد عليا و عايز يقابلنا النهارده الساعة خمسة فى كافيه الأحلام".

- نسرين : بس النهارده مش هينفع.

- ريم : ليه فى حاجة ؟!

- نسرين : لا أبدا. أنا بس تعبانة شوية.

- ريم : سلامتك ألف سلامة ، خلاص لو مش عايزة تيجى هروح لوحدي . براحتك.

- نسرين : لا، أنا عايزة آجي معاكِ.

- ريم : أما أمرك غريب يا " نسرين" مش بتقولي تعبانة هتيجي إزاي ؟!! . خلاص بصى أنا عندي فكرة ما دام إنتى تعبانة هآخد تاكسي و أعدي عليكِ فى طريقي. نروح نقابله بسرعة ونرجع أوام . تمام كده ؟ .

- نسرين - قلقة : لأ متجيش تخديني. أنا هقابلك.

- ريم : ليه يا بنتي ؟! مش بتقولي تعبانة.

- نسرين : علشان مش عايزة أتعبك . مفيش داعي تيجي.

- ريم : بطلي عبط يا "نسرين" احنا أخوات. وبعدين هتتعبيني في أيه هوه أنا هاجي لك مشي !!.

- نسرين : بس يا "ريم " ....

- ريم تقاطعها قائلة : مفيش بس .. طيب رحمة بابا هاجي أجيبك. وأنت عارفة لما بحلف برحمة بابا مش برجع فى كلامي. هكون عندك الساعة أربعة ونص بالظبط وتكوني جاهزة .

****

أشعر بالقلق بشأن صاحبتي العنيدة التى أصرت على المجيء بنفسها و هى لا تدري شيئا عما ينتظرها .. أخذت أفكر كثيرًا فى مخرج يخلصني من هذا المأزق الذى سيعرض حياتها للخطر و لكنى لم أتوصل إلى حل، الوقت يمضي سريعًا و قد أوشكت على المجيء .. عليّ أن أجد حلا ... ولكن كيف؟

فى النهاية استسلمت و لم أجد بدًا من أن أتصل بالرائد "أشرف". ولدهشتي اختلف معي فى الرأي و نصحني بأن تسير الأمور بشكل طبيعي حتى لا أكون موضعًا لشكوك المنظمة الإجرامية ثم طمأنني ووعدني بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

نفذت نصيحته و قبل الموعد كنت قد ارتديت ثيابي و تأكدت من هندامي ثم انتظرت قدوم "ريم" و مضيّنا معًا سالمتين على أحر من الجمر و قلبي يخفق بشدة.

لحسن الحظ مضت الأمور على خير. يبدو أن الحظ العاثر قرر أخيرًا أن يدعني وشأني وهذا فى حد ذته شيء مطمئن . أخذت السيارة الأجرة التى حملتنا تشق طريقها مسرعة نحو المكان المتفق عليه.

فجأة طرأ فى ذهنى سؤال هام على الرغم من بساطته فطرحته على "ريم" قائلة :

- نسرين : صحيح جوز "مها" اسمه أيه ؟

- ريم : اسمه "ماجد" هو من الشرقية أصلًا. شغال مهندس بترول فى الإمارات من عشر سنين، اتعرفوا على بعض من خمس سنين تقريبًا كان نازل مصر فى أجازة ، وحصلت بينهم أسرع قصة حب سمعت عنها فى حياتي ، بعد شهر اتخطبوا وفضلوا يكلموا بعض على النت شهور لحد ما نزل أجازة و اتجوزا و فضل يسافر و كل ست شهور ينزل أجازة شهر. و يرجع الإمارات تاني

و ده اللي كان مجنن "مها" و خلى علاقتهم تتوتر فى الفترة الاخيرة.

- نسرين : طيب ليه هى مسافرتش معاه؟ !. أو كان يرجع يشتغل فى مصر.

- ريم : أكل العيش مر يا "نسرين" مش بسهولة كده هيلاقي شغل مناسب وبنفس المرتب. وهي مش ممكن تسافر وتسيب الحاجة " صباح " والدتها ؛ دى ست كبيرة وعيانة.

- نسرين : مش قادرة أصدق إنهم اتطلقوا بس علشان السبب ده !!.

- ريم : أمه كمان كانت السبب فى الطلاق ، سممت عيشتها و خليتها تلم هدومها و تروح هي والبنات عند أمها.

وفى لحظة غضب طلبت الطلاق راح مطلقها من غير ما يحسب نتيجة القرار المتسرع ده.

- سائق السيارة : وصلنا خلاص يا ست هانم.

أشعر بالقلق فور أن تطأ قدماي أرض الكافيه لإدراكي لحجم المسئولية الملقاة على عاتقينا فإما أن نصلح الأمور ونرد زوجين متحابين لبعضهما البعض و نجمع شمل الأسرة من جديد و نحمي

ثلاثة أبناء من الضياع . أو نزيد الأمور سوءً و نجعلها أكثر تعقيدًا و قد نخسر صديقتنا حينها للأبد . لكن قلقي سرعان ما تبدد وتلاشي فور أن التقينا بـ" ماجد" طليق "مها" الذى رحب بنا بحرارة ، ثم تولت "ريم" مهمة تقديم كلانا للآخر.

بادرته قائلة : طبعًا حضرتك عارف احنا جايين النهارده هنا ليه. بس لو سمحت أنا عايزة أسألك : أنت بتحب "مها" لسه ولّا ؟

- ماجد : أكيد طبعًا ، "مها" دي حبيبتي و أم عيالي و بيننا عشرة.

- نسرين : كويس أوي، أعتقد إن هي كمان لسه بتحبك بس بتكابر.

- ماجد : أنا بس مش عارف إزاي هان عليها تخبي عليا موضوع الطفل؟!.

- ريم متحفزة للقتال : لا يا أستاذ " ماجد "، متنساش إن العلاقة بينكم كانت متوترة و"مها" كانت مضطرة تعمل كده يعني غصب عنها. أنت فاكر إنها كانت مبسوطة أوي لما دارت عليك . معندكش فكرة هى كانت بتتعذب قد أيه .

- ماجد : يعنى أنتِ قصدك إنها مش غلطانة .. بتدافعي عنها علشان انتو أصحاب ، خليكِ حقانية يا مدام "ريم" .

- نسرين مقاطعة كليهما وواضعة حدًا للشجار : يا جماعة مش كده، احنا جايين نهدي النفوس و نصلح "مها" فعلًا غلطانة زى ما حضرتك بتقول. بس هى كمان كانت واخدة على خاطرها منك و كان الموضوع صعب عليها و عملت كده غصب عنها زي ما "ريم" بتقول.

- ريم : طيب بدل ما الوقت يسرقنا لازم نقول لك هتعمل أيه؟.

- نسرين : اتصل بيها النهارده بالليل على تليفون البيت و اعمل نفسك متعرفش حاجة عن موضوع البيبي الجديد اوعى تقول لها بدل ما المشكلة تكبر. هتسألها عن حالها و عن الأولاد و تقولها :- انتو وحشتوني ، أنا آسف علشان مكنتش بكلمكم ، أنا كنت مسافر و لسه راجع من السفر وطول الوقت كان موبايلك مقفول ، تقريبًا غيرتي رقمك.

- ريم : هتكلمها بالراحة واستحملها لو اتعصبت عليك ، و خليها تديك بناتك تكلمهم بعد كده.

- نسرين : قولها إنك نفسك تقابلهم و تلعب مع الولاد و اسألها أيه رأيها لو أخذتهم لمكان تتفسحوا فيه و تتغدوا بره البيت علشان البنات يتبسطوا؟.

- ريم : ومتخافش احنا هنقنعها توافق لو قالت لك لأ .

- ماجد : وبعدين أقولها ترجعي لي.

- نسرين : لأ . استنى ، بعد الخروجة هتكون لانت. ساعتها اعزمها على العشا تاني يوم.

- ريم : و متنساش بوكيه الورد الأحمر. و متشغلش بالك بموضوع الحجز واختيار المطعم لأن احنا هنحجز لكم فى مطعم رومانسي . و بعد العشا هتقولها إنك بتحبها ومقتدرش تستغنى عنها.

- نسرين : وعايزة أنبهك لحاجة مهمة . اوعى تتخانق معاها على موضوع البيبي و إنها دارت عليك الحمل.

- ماجد : أنا بجد مش عارف أشكركم إزاي ؟. الحمد لله إن "مها" عندها صاحبات طيبين و بيحبوها زيكم.. جميلكم ده مش هنساه.

شعرت و كأن جبلًا كان فوق كاهلي قد أزحته الآن ، بينما نحن عائدتان إلى ديارنا سمعت صوت رنين هاتف "ريم " المحمول فنبهتها إلى ذلك . أسرعت الأخيرة تفتش عنه فى حقيبة يدها قائلة :- "يا خبر مكنتش واخدة بالي ... ليكون "أحمد" جوزي ... أيه ده ؟ .. ده رقم غريب .. استنى لما أشوف مين ؟.

آلو .. أيوة أنا ريم ... مين معايا ؟ ... "لوجي " ... لأ طبعًا فاكراكِ .... أنا كويسة الحمدلله .... " .. نسرين.. " تمام كويسة.

تسمرت فى مكاني فور أن سمعت اسم "لوجي" .. لوهلة أحسب أن الأرض كفت عن الدوران وأن الزمان قد توقف فى محله و أخذت مشاهد عديدة تتلاحق أمام عيني .. أتذكر الآن ذلك اليوم جيدًا .. كان ذلك فى ليلة رأس السنة الميلادية ..

ذهبت برفقة " لوجي " إلى فيللا امراة عابثة تدعى "شروت " – تكبرنا بعشر سنوات أو يزيد - للاحتفال بصحبة مجموعة من الشباب والفتايات .

كنت حينها فى عامي الأول بالجامعة ، مراهقة ثرية عابسة قلبها عامر بالأحزان و منفطر لفراق أهلها الذين آثروا البقاء فى الكويت ليستمروا فى جمع الأموال الى ما لا نهاية ، لم تكن كل تلك الأموال الطائلة التى وفرها لي أهلي كفيلة بأن تشعرني بالدفء والسعادة . افتقدت أسرتي كثيرًا حين جئت إلى الأسكندرية وحيدة وأنا فى السابعة عشر من العمر .. يعلم الله كم ألححت على أمي بأن تعود إلى مصر و تبقى برفقتي حتى أنهي دراستي الجامعية ؛ ولكنها سرعان ما كانت تختلق الأعذار.. فتارة

تتعلل بأختي "راندا" الصغيرة التي في حاجة إليها و تارة تتعلل بأن أبي لا يقوى على فراقها و أخرى تقول إن عملها يحتاج إلى خبراتها وأنها لن تتنازل عما حققته فيه من مكانة ونسيت أو قل تناست أنني كنت أيضا في أمسّ الحاجة إليها. "لوجي" كانت أول صديقة أتعرف إليها فى الجامعة ؛ كانت مراهقة ثرية تعشق التسوق و حضور الحفلات و مسايرة أحدث خطوط الموضة العالمية، لكن حياتها لم تخل قط من المشكلات والمتاعب فهى الابنة الوحيدة لأبوين منفصلين لا يهتمان سوى بتوفير المال لها والعيشة الرغدة الهانئة على المستوى المادي والاجتماعي فقط، ويتخذ كلا أبويها من الآخر عدوًا له يحاول محاربته بشتى السبل وبالطبع كانت ابنتهما " لوجي " هى الضحية . ورغم كونها تعيش مع أمها فى نفس المنزل إلاّ أن الأخيرة لا تعرف عن كريمتها شيء ولا تمنحها أدنى قدر من الاهتمام !! ؛ بل إنها ذات يوم أخبرتها أنها تزدريها لأنها تذكرها بذكريات بشعة فيكفي أنها قطعة من طليقها الذى تكرهه بشدة !! ؛ أذكر يومها كيف كانت " لوجي " مصابة بانهيار نفسي حين جاءت إلى منزلي وأخذت تبكي بشدة وتحتسي الشراب بجنون حتى الثمالة .

حين كنت فى الكويت اعتدت على تدخين السجائر- كعادة بغيضة لدى بعض نساء الطبقات الراقية - ، ولكني حين وصلت إلى مصر و التحقت بالجامعة وجدت أن الاوضاع مختلفة عما نشأت وتعودت عليه، أما بالنسبة لصديقتي الجديدة فلقد اعتادت على شرب الخمور بأنواعها وكانت تتعاطى بعض أصناف المخدرات الأقل تأثيرًا بين حين وآخر وهكذا نقلت اليّ تلك العادة.

أعود بذاكرتي إلى الوراء لأتذكر أحداث ذلك اليوم المشئوم، كانت "لوجي" و عشيقها المدعو "حازم" قد أفرطا فى الشراب تلك الليلة حتى ثملا و فقدت صاحبتي عقلها ساعتها حتى عثرنا عليها أنا و "شروت" اللعينة فى أحضانه على فراش واحد و قد نال منها كما ينال الذئب من فريسته.

وبعد مرور أيام على تلك الواقعة المشينة تعرفت إلى " سعد " وحينها تغيرت حياتي للأفضل بشكل كُلي بفضل مساندته لي وخوفه عليَّ وحرصه الشديد علي مصلحتي حتي أقلعت عن كل ذلك وتخليت عن تلك العادات الذميمة التي اكتسبتها فى الفترة الأخيرة . وكان من البديهي أن أتخلى عن أصدقاء السوء بما فيهم "لوجي" وأتعرف على أصدقاء جدد أخلاقهم دمثة. انتشلتني " ريم

" من ذكرياتي حين نادتني للمرة الثانية على التوالي. وقالت بلهجة توحي بالغضب المصطنع :

ريـم: أيه يا بنتي أنتِ روحتِ فين ؟! مش بتردي ليه ؟ أيه اللي واخد عقلك. فاكرة " لوجي " ؟. كانت صاحبتك فى أولي جامعة.

نسرين [متعمدة الكذب] : لأ مش عارفة حد بالاسم ده.

ريم: لأ أنتِ تعرفيها. بس ناسية.

نسرين :مالها يعني ؟!.

ريم: قابلتها من أسبوع فى النادي وعرفت مني إن أنا اتجوزت وأصرت تشوف صور فرحي اللي علي الموبايل وبصراحة اتحرجت منها وفرجتها عليهم، وشافت صورتك واستغربت أوي وما كنتش مصدقة إنك لسه عايشة . وسألتني عنك.

نسرين: وقولتي أيه ؟

ريم: قولت لها إنك فُقتي من الغيبوبة من كام شهر فاتوا.

شعرت بالسخط على " ريم " لأنها أخبرت " لوجي " بأمري. فماذا لو علمت " شروت " بأنني لم أزل على قيد الحياة ؟ لاشك أنني سأقتل وألقى حتفي هذه المرة .

لقد تذكرت كيف كان "سعد" يحذرني منهما حتي أنه أخذ مني عهدًا على نفسي بأن أقطع علاقتي بالاثنتين نهائيًا. أخبرني بأنه يكاد يجزم بأن " شروت" مهربة ومن أكبر تجار المخدرات وأنها تنتمي للتنظيم نفسه الذي يسعي للإيقاع به وتسليم أفراده للمحاكمة لينالوا الجزاء العادل.

كان "سعد" يرجح أنها لم تكن تقيم تلك الحفلات فى بيتها إلاَّ لتسليم المخدرات والممنوعات إلي التجار بعيدًا عن أعين الشرطة مختارة التوقيت المناسب كالأعياد والمناسبات العامة والخاصة، الشيء الوحيد الذى منع رجال الشرطة من القبض عليها أنها كانت متزوجة من عضو فى مجلس الشعب يحمل حصانة دبلوماسية ولديه مكانة تجعل من الصعب بل من المستحيل تفتيش منزله بدون أدلة قاطعة، الغريب أن هذا الزوج قُتل فى ظروف غامضة قبل مقتل " سعد" بيوم واحد ولم تعثر الشرطة على القاتل ولا علي دليل واحد يوصلهم إليه. وهذا يرجح احتمال أن المجرمين قتلوه حين كشف أمرهم وأمر زوجته المجرمة كي لا يفضح الأمر ويبلّغ عنهم رجال الشرطة .

وقبل أن أصب جام غضبي علي رأس صديقتي الساذجة أدركت أنها لا ذنب لها فهي تجهل الحقيقة وعواقب ما اقترفته.

فقلت لها: طيب هي عايزة أيه؟ اتصلت ليه ؟ !

ريم: عايزة تقابلك بتقول إنك وحشتيها وعايزة تتطمن عليكِ.

نسرين: تقابلني ! . طيب أنتِ رأيك أيه ؟ . أقابلها ولا لأ؟.

ريم : بصراحة يا " نسرين " البنت دي وحشة وسمعتها مش كويسة أنا و "مها" مش بنرتاح لها وكمان أنتِ كنتِ قطعتِ علاقتك بيها بس الموضوع فى الأول والآخر يخصك.

نسرين: على العموم أنا هفكر وأقولك قررت أيه.

****

عادت الذكريات لتتدفق من جديد على مخيلتي منذ تلك المكالمة؛ ومع ذلك لم تزل هناك الكثير من الحلقات المفقودة... شعور دفين انتابنى ولا أعرف مصدره بأن الخطر بات قريبا مني إلى أقصى درجة .

صحيح أن لوجي لم تكن تنتمي إلى أولئك المجرمين ؛ ولكن لشروت سطوة عليها حيث تجمعهما علاقة غريبة قوامها الابتزاز بتلك الواقعة .

كنت لا أحبذ مقابلة " لوجي" ورؤيتها من جديد إلاَّ أنني فضّلت أن أستشير "أشرف" كي لا أقع فى خطإ جثيم أو أقدم علي فعلٍ أحمق ...

وكعادته يفاجئني دائمًا بردود أفعاله وآرائه التي تفوق كل توقعاتي.

قال لي: أنتِ لازم تقابليها عارفة ليه ؟

نسرين: لية ؟!

أشرف: لأن طلبها إنها تقابلك معناه إن العصابة خايفين منك وشاكين فيكِ وأغلب الظن بعتوها علشان يتأكدوا إنك فعلًا "نسرين يوسف" ولا واحدة ثانية، ويعرفوا إذا كنتِ فاقدة الذاكرة ولا لأ.

نسرين: لسه مش فاهمة قصدك ؛ إزاي المقابلة دي هتفيدنا ؟! .

أشرف: لأنك هتثبتي لهم إنك فعلًا نسرين وإنك فاقدة الذاكرة علشان يطمنوا ويشيلوا من دماغهم فكرة التخلص منك.

نسرين: كلام معقول. بس جايز عايزين يستدرجوني ويتخلصوا مني.

أشرف: ممكن. وعلشان كده أنا هأمن لك حماية تامة.

نسرين: كده يبقي اتفقنا. المهم هقابلها إمتي ؟ وإزاي ؟.

أشرف: " نسرين " أنا عندي فكرة جهنمية نضرب بيها عصفورين بحجر.

نسرين: أيه هي ؟ إلحقني بيها أوام.

أشرف: هقابلك و هتقابليها فى نفس اليوم.

نسرين [مقاطعة إياه]: إزاي بقي ؟ أنت نسيت إنهم بيراقبوني ؛ ومينفعش أنا وأنت نتقابل على الأقل الفترة دي .

أشرف: استني بس هقولك. هنتقابل على جمل.

نسرين : نعم !! [ثم تضحك من أعماق قلبها]

أشرف: بتضحكي علي أيه ؟! [يقولها مغتاظًا]

نسرين: أنت مش شايف إن في حاجة تضحَّك خالص. الظاهر كده إن ضغط الشغل وقلة النوم أثروا عليك. هنجيب منين جمل ؟!

أشرف: لو صبر القاتل علي المقتول كان مات لوحده. اصبري هأقول لك .

نسرين: قول . اشجيني

أشرف: هتقولي لصحباتك إنك متضايقة وعندك مشاكل فى البيت وأعصابك تعبانة علشان كده عايزة تغيري جو وتروحي القاهرة وتقولي لـ " ريم " تكلم " لوجي" وتقول لها إنك موافقة تقابليها

وإنك عايزاها تيجي هي كمان معاكم وتقابلكم هناك وبعد ما تقابليها هترحوا تزوروا الأهرامات فى الجيزة وهتلاقيني متنكر فى صورة جمَّال. أنت هتعملي إنك شبطانة وعايزة تركبي الجمل وحاولي بأي طريقة إنك تركبي لوحدك وساعتها ده هيكون أكثر مكان آمن نتقابل فيه بدون ما يشكوا فينا.

نسرين:كويس إنك قولت كده أنا فى حاجات كتير مهمة لازم أشوفك وأحكيهالك بس أيه لزمة البهدلة دي كلها ؟! . واشمعنى الأهرامات يعني ؟ .

أشرف: منها تغيري جو وتقابلي " لوجي " فى مكان مفتوح علشان يبقي سهل البوليس يحميكِ ويراقبكم من غير ما العصابة تحس وعلشان تتطمني خالص. وكمان فى معلومات عايز أديهالك ودي أحسن طريقة نتقابل بيها.

نسرين: ماشي لما أشوف أخرة أفكارك أيه؟ . ربنا يستر وما روحش فى داهية بسببك .

كان عليَّ الإتصال بريم وزوجها ومها وماجد وإقناع كل هؤلاء بأن يأتوا معي إلى القاهرة في رحلة ليوم واحد صباح يوم الجمعة - غدًا - . كم كان من السهل إقناع " ماجد " طليق " مها" بأن

يصطحب أسرته إلى الأهرامات بالجيزة فهو مشتاق إليهم ويسعي إلى استرداد زوجته السابقة بأي ثمن و هذا سهَّل علي الأمر بعدما اتصل بطليقته وعرض عليها الأمر. وبعد محاورات ومجادلات نجحت أخيرًا فى إقناعهم.

كنت فى حيرة من أمرى .. القلق يبث فى عقلي هواجسه الجنونية والخوف من المجهول يؤرقني .. أعود إلى أنفاقي ودهاليزي المظلمة .. أسافر إلى عوالم آخرى يتساوي فيها الوهم والحقيقة ويصبح بين العقل والجنون شعرة تكاد أن تنقطع ...

اصطحب " ماجد " ابنتيه و " مها " والطفل الرضيع فى سيارته بينما ركبت فى سيارة " أحمد " و " ريم ". أخذت السيارتان تشقان طريقهما نحو القاهرة مسرعتين. وبعد ساعات – لا أذكر كم مضى بالضبط – وصلنا هناك.

هناك بإحدى الكافتيريات عند الأهرامات وحسب الموعد المتفق عليه مسبقًا مع لوجي كنّا هناك بانتظارها. لم تتأخر كثيرًا فسرعان ما تراءت لي.

بدت أكبر سنًا وأكثر حنكة ودهاءً عن آخر مرة رأيتها. شعرت للوهلة الأولى بهالة من الكراهية تحيط بها وشعاع من الحسد والغَّل يتجه صوبي مباشرة..

استعذت بالله من شر الوسواس الخناس ومن شر حاسد إذا حسد...

ساد بيني وبينها جو من عدم الاستلطاف حتي إن الذي لا يعرفنا يستحيل أن يصدق أننا كنا فى يوم صديقتين حميمتين. صحيح أنني لا أذكر كل شيء ؛ لكني على يقين بأن شعورنا هذا سببه يرجع إلى شيء حدث فى الماضى ربما لا أتذكره .

أخذت ترحب بي بحرارة مصطنعة وتحاول أن تبرر لي تأخرها عن زيارتي طوال تلك المدة وتقسم أنها افتقدتني وأنها اشتاقت إليَّ. والله يعلم كم هي كاذبة !!. ثم سرعان ما ظهرت نواياها الحقيقية للنور وكشفت عن سبب مجيئها دون أن تدري حين سألتني متخابثة :

صحيح يا نسرين. مش غريبة يعني إنك مش فاكراني مع إنك افتكرتِ " ريم " و " مها " ؟ ولّا أنا اللي واقعة من القفة ؟!

حينها تدخلت صاحبتي " ريم " منقذة " الموقف وردت عليها قائلة:-

ريم: ومين قال لك أصلًا إنها افتكرتنا ؟ دي البنية يا عيني كانت مش عارفة أبوها وأمها. عايزاها تفتكرنا إزاي ؟! إحنا أول ما عرفنا ماكناش مصدقين نفسنا. وأنا روحت لها علي طول. طبعًا كانت نسياني بس فضلت أحكي لها علي أيام زمان وفرجتها على صورنا أنا وهي فى الكلية لحد ما بدأت تفتكرني.

لوجي: صحيح يا " نسرين " الكلام ده ؟!

نسرين: أيوه صح. متزعليش مني بس أنا حالتي صعبة وطول الوقت بنسى ومش فاكرة حاجة عن الماضي ومفيش حد بيحكي لي وللأسف أنا مش فاكراكِ خالص. أساسًا دي معجزة إني لسه عايشة لحد دلوقت بعد الحادثة اللي حصلت لي .

لوجي: معلش يا حبيبتي بكرة تفتكريني وأنتِ أيه رأيك يا "مها" ؟ تعالي احضرينا. هتفضلي قاعدة مع الولاد وسيبانا.

مها: معلش أصل ولادي صغيرين زي ما أنتِ شايفة. عقبال عندك.

لوجي: طيب يا جماعة أستأذن أنا. أصل جوزي جاي يخدني .

مها: ماشي يا أختي إذنك معاكِ . آنستي وشرفتي . مع السلامة.

لوجي (بتوعد): الله يسلمك.

ريم: طيب يا " لوجي " ابقي خلينا نشوفك.

لوجي: أوك. لو كان عندي وقت فاضي أكيد هاجي.

نسرين: على العموم شكرًا على سؤالك يا " لوجي ". أنتِ مش عايزة مني أي حاجة.

لوجي: شكرًا هعوز أيه ؟ عايزة سلامتك يا حلوة.. باي.

أعترف بأن صديقتي قد بالغتا فى الإساءة إليها وإشعارها بأنها غير مرغوب فيها بيننا وخاصة " مها " فهي عفوية وطيبة القلب على خلاف ما تبدي؛ لكني التمست لهما الأعذار لأنهما كانتا على صواب. ومع ذلك توجست خيفة من ردة فعل " شروت " وانتقامها عندما تخبرها " لوجي " بما جرى بيننا واختلج صدرى شعور بالقلق .

حين غادرنا الكافتيريا واتجهنا صوب الأهرامات أخذت أبحث بعينين زائغتين عن أشرف. ترى أين هو الآن؟!

.. أخيرًا عثرت عليه. كدت ألاّ أعرفه لشدة براعته فى التنكر. حتي إن من يراه لا يشك ولو لوهلة فى أمره. نفذت الخطة بحذافيرها ولكن ما حدث معي لم أتوقعه. أصرت ابنتا " مها"

على امتطاء نفس الجمل برفقتي.. يالحظي العاثر !!.. ما هذه الورطة ؟!.

لم أجد أمامي سوى " ماجد " الذي همست فى أذنه بأن يصطحب ابنتيه ليمتطوا خلفه أحد الجمال الأخرى فتلك فرصة لا تعوض للتقرب إليهما بعد هذا الغياب الطويل وما إن تخلصت من ورطة حتي وجدت نفسي فى آخرى. " ريم " تسألني إذا كنت أرغب فى الصعود على ظهر الجمل خلفها هي وزوجها .

قلت لها مبتسمة:-

يا خايبة خدي جوزك وروحوا اركبوا خيل . أنتِ بصراحة أهملتيه الفترة اللي فاتت والراجل زي الطفل عايز اهتمام لحسن بعدين طيرك يروح لغيرك.

ريم: صح. معاكِ حق.

حين وقف الجمل على ساقيه وبدأ بالتحرك بعيدًا عن الأنظار وجدت أشرف يقول لي :-

مين الراجل ده ؟!! . كنتِ بتقولي له أيه ؟.

نسرين: بتسأل ليه ؟!

أشرف (مرتبكًا): لأننا شغالين مع بعض أنا وأنتِ فى نفس القضية.

نسرين (ضاحكة وقد بدأت تدرك أنه أصبح يغار عليها) :-

لا متخافش ده مش غريب. ده جوز " مها " وهما منفصلين.

وأنا " وريم " عاملين خطة علشان يرجعوا البعض .

أشرف: آه فهمت ... بس أيه رأيك فى شكلي كده ؟ .

نسرين: برافو عليك. تنكرك حلو. عرفتك بصعوبة.

هو احنا هنفضل نرغي ونضيع الوقت؟. ياللا احكي لي الحاجات المهمة اللي جايبني علشانها.

استجابت " ريم " لنصيحتي لها بأن تصطحب زوجها لقضاء وقت ممتع يقوي العلاقة بينها ويروي شجرة حبهما قبل أن تذبل وتموت.. امتطي كلٌ من الزوجين خيلًا يباري به الآخر ولكن لسوء الحظ شعرت الزوجة فجأة بالدوار يداهمها ولم تلبث حتى سقطت من فوق ظهر الحصان .

ومن بعيد لمحتها ممدة على الأرض و"أحمد " زوجها يحاول بيأس أن يدفعها لأن تفيق . ترجلت من فوق الجمل مولية " أشرف " خلفى متسائلا وهرعت إليها فزعة .. ولم تمض لحظات حتى

نقلناها إلي أقرب مستشفي .. وهناك ساعدها الطبيب علي أن تفيق من الإغماء وسرعان ما خرج إلينا وقد تهللت أساريره ليطمئننا ويزف إلينا الخبر السار.. أن " ريم " بخير وأن ما حدث لها كان طبيعيًا لأنها حبلى في شهرها الثاني وأوصانا بأن نعتني بها وأن نجنبها الإجهاد.

حين أخبرنا بأنها حبلي قلنا جميعًا في صوت واحد يشوبه مزيجا لذيذا من الفرح والاندهاش : حامل!!.

أخذنا نهنئ " أحمد " بالخبر السعيد وبأنه سيصير أبًا عما قريب ثم دخلنا إلي الغرفة التي تتمدد بها " ريم " لنبشرها ونهنئها.

****

على الرغم من أن الشمس لم تتوار عن الأفق بعد ولا زال الوقت نهارًا كانت " شروت " تحتسي كأسًا من الوسكي فى حديقة فيللتها حين اتصلت بها " دارين " لتقول لها :

" حاكِ الرجالة وخبريهم ينفذوا العملية .. بدي نسرين تموت الليلة فى حادثة وما حد يكشفنا "

ثم تسألها عن الأمانة التي جاءت من سيناء وإذا ما كانت قد وصلت إليها أم لا ؟ فتجيبها " شروت" بالإيجاب.

تنهي المكالمة وتشعل سيجارة لتأخذ منها نفسًا عميقا وتنفث دخانًا كثيفًا ثم تصب كأسًا آخر من الوسكي قبل أن تنفّذ ما أمرتها به " دارين ".

في الوقت نفسه " لوجي " تحاول الاتصال بصديقتها "شرّوت" مرات عديدة وهي لا تجيب . وبينما كانت لوجي تقود سيارتها بسرعة جنونية متجهة نحو مدينة " شرم الشيخ " كانت سيارة تابعة للمخابرات تتبعها علي مسافة بعيدة وهي لا تشعر بذلك.

سيارتان تشقان طريقهما نحو الإسكندرية بسرعة وإحداهما تسير علي مقربة من الأخرى التي كنت بداخلها اتصل بي الرائد " أشرف " عدة مرات لكني لم أرد عليه خشية أن تسمعني " ريم " أو يسمعني زوجها.

وتحت وطأة إصراره في النهاية رضخت وقررت أن أجيب علي استحياء وأنا أتلفت حولي وأتحدث بصوت بالكاد يكون مسموعًا قلت له بتردد وقد قررت أن أبادره قبل أن يصب علي جام غضبه لأني لا أجيب:

أنا آسفة مش عارفة أرد أنا في العربية مع "ريم" وجوزها.

- أشرف- أنتو فين دلوقت؟

- نسرين – لسه معديين من محطة الرسوم الأولانية.

- أشرف- طيب تمام أنا كمان علي طريق مصر/ إسكندرية الصحراوي .. نسرين ممكن بعد إذنك متعمليش كده تاني أنا قلقت عليكِ أوي.

صوت ارتطام شديد يداهم أذني بقوة .. ينتابني الفزع حين أجد السيارة تندفع بقوة وتنحرف عن مسارها .. صمت .. صمت مطبق ولا شيء سوى الصمت ..

عقلي يتعطل عن العمل لثوانٍ معدودة .. أظل فاغرة الفم للحظات قبل أن أستوعب حقيقة ما جرى وأتبين الأمر.

كانت سيارة سوداء من طراز " جيب " قد دفعت بالسيارة التي نركبها عن عمد حتى أنها كادت أن تنقلب بنا لولا أن تولتنا العناية الإلهية ونجونا من الموت المحقق بمعجزة !!.

بدا من الجلي لي أنهم من أعضاء التنظيم الإجرامي الذي حاول قتلي مسبقًا وها هم يكررون فعلتهم مرة أخرى؛ ولكنهم ازدادوا وقاحة وشراسة هذه المرة وتجرأوا علي فعل ذلك في وضح النهار وأمام أعين الناس؟ ولم يكتفوا بمحاولة قتلي فحسب بل أرادوا قتل

الزوجين حديثي الزواج اللذين مضي علي زواجهما أقل من ثلاثة أشهر.

في البداية حسبت أنهم سيولون الأدبار ويعودون من حيث أتوا ويكتفون بمحاولتهم التي باءت بالفشل - لحسن حظنا- حين نجح " أحمد " في السيطرة علي عجلة القيادة.

لكن خاب ظني وتفاجأت بأنهم يطاردوننا ويحاولون أن يصدموا السيارة مكررين فعلتهم الشنيعة من جديد، فقد زوج " ريم " السيطرة على غضبه وهمّ بأن يوقف السيارة ليلقنهم درسًا - علي حد قوله - .

صحت في وجهه محذرة إياه من فعل ذلك وعللت قولي بأنني واثقة بأنهم يرغبون في سرقتنا أو قتلنا.

تنفست الصعداء حين استجاب لي علي مضض ولم ينفذ ما يدور في رأسه .. أخذت ريم تولول حين قلت ذلك وتقول:-

- يا حظي الإسود يا ميلة بختي لسه ملحقتش أتهنى بخبر الحمل كان مستخبي لنا فين ده بس ياربي؟.

فما كان من زوجها إلا أن صرخ بوجهها قائلًا:

" اسكتي بقى خلينا في المصيبة دي أنا مش عارف أسوق منك "

فى تلك اللحظات تزايدت ضربات قلبى واعتلى وجهي شحوب مخيف ...

عادت ذكرى السيارة التى صدمتني تطاردني بشدة وتأبى ألاّ تتركني إلاّ وقد أجهزت على عقلي كليا ..

كانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها زوج " ريم " غاضبا إلى هذا الحد وهو الهاديء بطبعه، ولكنه كان محقًا فى غضبه فالوضع خطر للغاية ومسئولية حماية زوجته والجنين وصاحبتها تقع علي عاتقه وحده. يبدو أن " ريم " هي الأخرى أدركت ذلك فآثرت الصمت وأن تدعو الله أن ينجينا ، ثم تمسك بالمصحف الصغير الذي تحتفظ به في السيارة وتقرأ القرآن الكريم.

تذكرت أنني كنت أتحدث مع " أشرف " هاتفيًا حين وقت الاصطدام، أخذت أبحث عن هاتفي فوجدت أنه قد وقع علي أرضية السيارة بالقرب من قدمي بفعل الصدمة، و لحسن حظي أنه لم ينه المكالمة وقام بتعقبها لتحديد مكاننا وإرسال المساعدة إلينا.. تحدثت إليه بصوت مكتوم وقلت له:

خبطوا العربية اللي أنا فيها وكانت هتتقلب بينا ولسه بيطاردونا وبيزنقوا علينا أنا خايفة يا أشرف اعمل حاجة.

- أشرف: اهدي متخافيش أنا والقوات جايين لكم حالًا إحنا في الطريق لكم المهم جمدي قلبك علشان تتصرفي صح.

نجونا في هذا اليوم بمعجزة، فقد جاءت سيارات الشرطة بعد دقائق مرت علينا كأنها سنوات وتولت حمايتنا طوال الطريق حتى وصلنا إلى قسم الشرطة الذي تولي بدوره التحقيق في الأمر وسماع شهادتنا.

كنت منهارة نفسيًا بشكل يفوق الوصف ومع هذا حاولت ارتداء قناع القوة .. طلب مني أحد رجال الشرطة أن أتبعه لأمر هام ففعلت .. وجدت نفس داخل غرفة صغيرة الحجم جدرانها مطلية بطلاء أصفر اللون فى آخرها مكتب خشبي بني عتيق .. جلس خلفه الرائد " أشرف " الذي نهض من مجلسه فورا أن رآني ومد يده مصافحا إياي ثم سأل الضابط الذي أحضرني إلي هنا أن يتركنا بمفردنا ويغلق الباب.

لم أستطع هذه المرة كبح جماح دموعي التي انهمرت علي وجنتي على الرغم مني .. قلت لأشرف بصوت متقطع:

أنا خلاص مش قادرة .. أعصابي تعبت ... لحد إمتي هعيش في الرعب ده؟ اتخنقت يا أشرف نفسي ارتاح بقى ..

- أشرف: اهدي بس اهدي أنا عمري ما شوفتك ضعيفة كده .. خدي اشربي عصير الليمون ده هيهدي أعصابك.

يمد يده ويعطيني كوبًا ممتلئًا بالعصير؛ ثم يربت علي كتفي بحنان ويخرج من جيبه مندلًا لأجفف دموعي.

- نسرين: أنا اللي مزعلني إن "ريم " و" أحمد " العرسان الجداد الي لسه مالحقوش يتهنوا بخبر الحمل كانوا هيموتوا بسببي ذنبهم أية هما وكل اللي حواليا؟! أنا المقصودة يا أشرف وإن كان في حد لازم يموت يبقي أنا مش هما.

- أشرف منزعجًا: بعيد الشر عنك يا حبيبتي متقوليش كده إن شاء الله كله هيبقي تمام .. بس أنتِ وجودك هنا في مصر بقى خطر عليكِ أنتِ ووالدتك وعلي أي حد يقرب منك.

- نسرين: يعني خلاص هنقفل الملف!! أنا هرجع الكويت؟!

- أشرف: لا مش بالظبط بس أنا عند خطة جهنمية.

- نسرين: خطة تاني يا أشرف!!.

****

في مدينة شرم الشيخ وأمام إحدى الشاليهات المطلة علي البحر الأحمر مباشرة أوقفت "لوجي" محرك سيارتها وخرجت.

تتجه الآن صوب مدخل الفيللا ... تضغط بأصبعها علي زر جرس الباب ... تنتظر للحظات قبل أن ينفتح الباب وتجد خادمة

فلبينية تقف قبالتها وتسألها بالانجليزية عن هويتها. تدخل إلى الشالية بعد أن تسألها عن مكان سيدتها فتجيبها بأنها في غرفتها تصعد الدرج مسرعة وتخطو نحو غرفة النوم لتفتح الباب متجاهلة تحذيرات الخادمة التي تخشى بطش وغضب سيدتها .

تبحث عن "شروت" التي جاءت من أجلها بعد أن فشلت في الاتصال بها .. لا أحد بالغرفة ولكن باب الحمام مغلق وعلي ما يبدو أنها بداخله ..

قبل أن تطرق بابه وتنادي على "شروت" تفاجأت بحقيبة سوداء وضعت علي فراش صاحبتها بها مجموعة كبيرة من أكياس الهروين وأصناف أخرى من المخدرات .. أخذتها المفاجأة التى نزلت على رأسها كالصاعقة وجعلتها تتسمر في مكانها وهي تحاول أن تفهم ما يحدث حولها .. أخذت تكذّب عينيها وتتمنى لو كانت في كابوس تستيقظ منه عما قريب.. فكيف لها أن تصادق امرأة لسنوات وتثق بها ثقة عمياء وهي لا تعرف عن حقيقتها شيئا ؟!! لتكتشف فجأة أنها تتاجر في المخدرات. تفاجأت كلتاهما بالأخرى وكأنهما يريان بعضهما البعض للمرة الأولى .. "لوجي" لأنها كانت مذهولة وشاردة تفكر في الأمر و"شروت"

لأن آخر ما كانت تتوقعه هو أن تجد "لوجي" في غرفة نومها في هذه اللحظة بالذات لتكتشف أمرها.

- شروت: لوجي!! أنتِ أيه اللي جابك هنا؟!

- لوجي : اتصلت بيكِ كتير علشان أقول لك علي اللي حصل معايا النهارده وأنتِ مش بتردي الظاهر كده إنك مشغولة.

- شروت مرتبكة : قصدك أيه ؟! بتقولي كده ليه؟!.

- لوجي: أنتِ عارفة كويس. ياللا أنا لازم أمشي بلاش أعطّلك.

- شروت : "لوجي" استني أنتِ مش فاهمة حاجة صدقيني دي أول مرة .. أنا مش تاجرة مخدرات دي أمانة لناس .

- لوجي : بصي كل ده ميهمنيش.. أنا اللي مزعلني إني كنت فاكرة إن أنا وأنتِ صحاب ومش بنداري حاجة علي بعض.

- شروت : أنا بجد أسفة بس الموضوع ده سري لأن داخل فيه ناس كبار .. أنا عملت كدة غصب عني حقك عليا.

- لوجي: علي العموم متخافيش سرك في بير. احنا لسه صحاب.

- شروت : أنا متأكدة من ده وواثقة فيكِ.

بعدما ترحل "لوجي" تجري شروت اتصالا هاتفيا بمارك وتقوله له بلهجة يمتزج فيها الحزم بالهلع :

في حاجات جدّت لازم نغير الخطة بسرعة.. نفّذ الخطة البديلة بتاعة الطوارئ.

****

في صباح اليوم التالي كنت في المطار برفقة أمي نترقب موعد إقلاع الطائرة المتجهة إلي الكويت .. ساد الأجواء بيننا سكون مريب ... مرت تلك اللحظات مملة رتيبة يغلفها شعور بالخوف من ألاّ تسير الأمور على ما يرام .

حين نصعد إلي الطائرة ونجلس في الأماكن المخصصة لنا نتبادل أنا وأمي نظرات ذات مغزي .. أمي تضمني إلي صدرها بحنان وتطبع قبلة حانية علي جبهتي قبل أن تقول لي: " سامحيني يابنتي .. أنا قصرت في حقك كتير "

وفي ذات الوقت الذي كانتا فيه علي متن الطائرة داهمت قوات شرطة مكافحة المخدرات شاليه "شروت" الواقع في شرم الشيخ الذى تعرفوا على مكانه بعد أن راقب المخبرون "لوجي" ...

توقعت "شروت" حدوث ذلك بعد أن كشفت "لوجي" أمرها ؛ ولكنها تظاهرت بالبراءة والاندهاش وهي تتحدث إلي الضابط قائلة:-

خير يا حضرة الظابط في حاجة؟ كفانا الله الشر.

- الضابط : في بلاغ ضدك بأن عندك في الشالية مخدرات.

- شروت تشهف وتضع يدها فوق صدرها ثم تقول:

مخدرات!! يا مصيبتي ولا عمري شوفتها يا بيه .. أنا ست محترمة.

- الضابط :علي العموم العساكر بيفتشوا البيت كويس

ارتسم على وجهها شبح ابتسامة ماكرة ولسان حالها يقول : " ابقى قابلني لو لاقيتم حاجة " ... وبعد لحظات جاء أحد العساكر لاهثًا وهو يقول :–

تمام يا أفندم .. مفيش حاجة.

- شروت: شوفت .. ياريت تبقوا تتأكدوا قبل ما تقتحموا بيوت الناس ... أنا ست أرملة وعايشة لوحدي ميصحش كدة أبدًا .. أنتو عارفين أنا مين؟ .. أنا حرم المرحوم المستشار "حسن الأمير" عضو مجلس الشعب .. يعني مش واحدة من الشارع .. هي سايبة ولا أيه؟!

- الضابط: احنا بجد أسفين يا فندم .. واضح إن في غلط وسوء تفاهم.

- شروت: أنا هعديها المرة دي .. شرفتم وآنستم.

في ظهيرة ذلك اليوم كانت تقف أمام باب مكتب العميد " حمدي السعيد " امرأة في زي خليجي تخفي ملامح وجهها بوشاح أسود اللون. يفتح باب مكتب العميد ويخرج منه الرائد "أشرف" الذي يدعوها للدخول ثم يقدمها إلي العميد قائلا :

"نسرين يوسف" يا سيادة العميد

العميد : أهلا وسهلا يا آنسة " نسرين ".

أشرف : "نسرين" أقدم لك العميد"حمدي".

نسرين : أهلا بحضرتك .. "أشرف" حكي لي عن حضرتك كثير.

العميد : أنا عارف إنها جت متأخرة .. بس حمد الله علي سلامتك.

نسرين : الله يسلمك يا فندم.

العميد : اتفضلي اقعدي .. بالمناسبة البقية في حياتك .."سعد" كان غالي علينا أوي ومات موت مشرف.

نسرين تكشف عن وجهها وتخلع غطاء شعرها وأصبح واضحا أن تغيرا قد طرأ على قسمات وجهها حين جاء ذكر موت " سعد "،

لكنها حاولت أن تتماسك وترتدي قناع القوة؛ فقالت مخاطبة العميد حمدي بصوت ذي نبرة صلبة تخفي ورائها حزنها:

في حياتك الباقية... خير حضرتك كنت عايزني في أيه؟

****

ضغط أحدهم علي زر جرس باب شقة "لوجي" . كانت قد انتهت لتوها من أخذ حمامها الصباحي وتحاول تجفيف شعرها المبتل .. ترتدي "روب الحمام" وتفتح الباب بحذر.. تجد أمامها ساعي البريد ذا الثياب المهترئة والنظارة الطبية يتصبب عرقًا .. من السهل عليها أن تلحظ مدي فقره لذا أعطته بقشيشًا بعد أن سلمها خطابا وطردا بريديًا وجعلها توقع علي استلامهما.. بعد أن أغلقت الباب تفتح الظرف الذي كتب عليه اسم المرسل "عاصم فؤاد" .

تخرج خطابا كتب فيه:

" إلي أسوء إنسانة عرفتها في حياتي. لا أعرف كيف استطعتِ بكل سهولة أن تخدعيني وتجعليني أحبك وأتزوجك ؟!! .. لم يعد لكي وجود في حياتي منذ اليوم فأنا لن أسلّم اسمي وشرفي لساقطة مثلك. كم أرغب في صفعك الآن وتكسير عظامك!! .. لكن هيهات

فأنا من يستحق الصفع لغبائي الشديد .. أنتِ خطأ فادح ارتكبته وحان الوقت لإصلاحه...

"لوجي" ـ كم بات من الصعب عليّ أن أتلفظ باسمك ـ اسمعي:

أنتي طالق طالق طالق .. طلاق بائن لا رجعة فيه .. وغدا ستصلك كل أوراقك ولن تظلي علي ذمتي يوما واحدا بعد الآن .

لاتحاولي الاتصال بي مجددا. أحمد الله أنني لم أدخل بكِ وأتورط معكِ أكثر من ذلك.)) التوقيع: المغفل الكبير د/عاصم."

شهقت شهقة حادة وسرعان ما انسابت دموعها رغمًا عنها فاندفعت اندفاع النهر وقت فيضانه لتبلل الخطاب.. تخور قواها ولا تقدر ساقاها علي حملها فتجثو علي ركبتيها وتنكّس رأسها إلي أسفل ممسكة بهما لدقائق ثم تنهض فجأة من مكانها حيث تذكرت أمر الطرد البريدي الذي أرسله إليها..

تمزق غلافه فتجد فيه مجموعة من شرائط الفيديو ولأول وهلة أدركت محتواها، لكنها آثرت التأكد.. تضع شريطًا في جهاز الفيديو.. تنتظر لحظات ثم تشهق وتلطم خديها.. تبكي وتصرخ بهستريا وتشرع في تحطيم التلفاز وكل ما تطوله يداها ...

****

لم تزل "نسرين" بصحبة العميد "حمدي السعيد" في مكتبه والذي يسمع رنين هاتفه فيستأذن "نسرين" للحظات.

تشرد "نسرين" طويلا وتتذكر تفاصيل ماحدث منذ ليلة أمس.. حضر الرائد "أشرف" إلى منزلها متنكرا في صورة طبيب - تماما كما اتفق معها مسبقا - ؛ ثم كان الجزء الأصعب إذ صار من الضروري أن تتولي "نسرين" تقديم "أشرف" إلي أمها ؛ ثم يقصا عليها كل شيء بالتفصيل.. في البداية جزعت أمها وأخذت تصرخ في وجهه قائلة:

واحنا مالنا يا ابني بالكلام ده كله؟!. اعمل معروف أنا مش مستغنية عن بنتي. ربنا يكفينا شرهم. أنا هآخد بنتي بكره الصبح إن شاء الله ونسافر الكويت ومش هنرجع تاني.

- أشرف : ماهو ده اللي أنا جاي لحضرتك علشانه. أنا فعلا عايزكم تكونوا في المطار بكره الصبح إن شاء الله.

الأم: أنا مش فاهمة حاجة خالص.

أشرف: أنا هشرح لك كل الخطة بالتفصيل.

.. قضيا قرابة نصف الساعة يتجادلان .. وبعد فترة من الزمن كان "أشرف" قد انتهى من شرح الخطة، لكن الأم لم تزل على موقفها من الرفض فقالت :

- لأ. أنا مش هسافر وأسيب بنتي تتعرض للخطر.

نسرين: أرجوكِ يا ماما دي رغبتي أنا كمان. معدش في حاجة هخاف عليها .. أنا مش هرتاح غير لما أخذ بتاري منهم. اللي عملوه معايا كتير أوي.

الأم: يا بنتي اعقلي. السكة دي خطر.

نسرين: ولحد إمتي يا ماما هنفضل ساكتين ونسيبهم يرتكبوا جرايمهم البشعة دي. احنا كده نبقي شركاء ليهم. مش بيقولوا الساكت عن الحق شيطان أخرس. أنا لازم أسلمهم للعدالة وأوديهم بإيديا لحبل المشنقة مع إنه شويه عليهم.

الأم: بس يا نسرين ..

نسرين مقاطعة إياها: يا أمي يا حبيبتي اللي نجاني منهم أول مرة قادر ينجيني منهم المرة دي كمان. بس أنا خايفه عليكِ وعلي كل صحابي علشان كده لازم تعملي زي ما الرائد "أشرف" بيقول .. واوعي تحكي لحد أي حاجة ولا حتي بابا وإلا حياتي هتكون في خطر.

أشرف: كمان لازم الكل يفتكروا إن "نسرين" فاقدة الذاكرة.

.. تتذكر " نسرين" حيث صعدت إلي الطائرة وجلست بجوار أمها.. وكيف أن الأم انفطر قلبها خوفا علي ابنتها التي قالت لها:

" ماما أنا لازم أروح دلوقت. مفيش وقت قدامي .. ربنا اللي عالم كان نفسي أسافر معاكِ قد أيه.. خدي بالك من نفسك وسلمي علي بابا كتير.. متنسيش تدعي لي أمانة عليكي .."

الأم: ربنا يحميكِ يا بنتي وينصرك علي من يعاديكِ ويرجعك ليا بالسلامة قادر يا كريم.. ربنا معاكِ يا "نسرين".

"نسرين" تسأل إحدي المضيفات عن مكان دورة المياه فترشدها المضيفة إليه.. وهناك تجد فتاة في مثل عمرها تقريبا تشبهها إلي حد ما تعمل لحساب الشرطة. تسألها الفتاة أن تبدل ثيابها بسرعة وترتدي تلك الملابس الخليجية وغطاء الشعر ونقابًا يخفي ملامح وجهها. تنفذ "نسرين" ما أمرتها به الشرطية التي إرتدت ثياب "نسرين" ونظارتها الشمسية وتنكرت في صورتها لتتجه بعد ذلك إلي مقعد "نسرين" التى خرجت من الطائرة قبل أن تقلع بلحظات و ذلك بمساعدة أحد ضباط المخابرات الذي إرتدي ثيابا مدنية. ثم خرجت من المطار تلتفت حولها بحذر.. واستوقفت سيارة أجرة أحضرتها إلى هنا .

****

فى منطقة جبلية متطرفة فى سيناء لا تطأها سوى الحيوانات البرية وأقدام عابري السبيل .. ووسط الصحراء القاحلة تتوقف سيارة من طراز جيب ويخرج منها ثلاثة رجال يرتدون بذلات

داكنة اللون، أحدهم حمل حقيبة سوداء ، وسرعان ما ظهرت مجموعة من رجال البدو يركبون الجمال .. ترجل البدويون وقدموا لذوي البذلات الداكنة حقيبتين مملؤتين بالنقود بعد أن تسلّموا الحقيبة السوداء.. وتأكّد كل طرف منهما من محتوى الحقائب وعاد كل فريق من حيث أتى .

****

"لوجي" تضغط على زر جرس باب منزل "شروت " الذى يقع فى منطقة القطامية بعد أن فشلت فى الاتصال بها كالعادة .. كانت الأخيرة قد عادت من "شرم الشيخ" بعد رحيل رجال الشرطة عن منزلها .. أما "لوجي" فلم تفتأ تبكي منذ الصباح إلاّ أنها قد هدأت أعصابها وقلت حدة ثورتها عن ذي قبل .. حين دخلت الفيللا كانت "شروت" فى حمام السباحة تسبح، انتظرت حتى قدمت، أجهشت بالبكاء وارتمت فى أحضانها وهى تقول :-

" الحقينى يا "شري" .. "عاصم " طلقنى بالتلاتة .. ده كان فاضل على فرحنا أسبوع ...

أنا إمتى هرتاح من الكابوس ده ؟! .. غلطة زمان عملتها وأنا مش فى وعيي تعمل فيا كل ده ؟!.

- شروت : اهدي بس واحكي لى أيه اللي حصل ؟!

- لوجي : بعت لى الشرايط بتاعتي .. مش عارفة مين بعتهم له ؟!.

- شروت – أكيد الزفت حازم .. مفيش غيره .

- لوجي : بس حازم فى أمريكا .. وهيعرف عاصم منين ؟!! .

- شروت : حازم رجع مصر .. بس أنا مرضيتش أقوللك علشان متضايقيش .

- لوجي : يا دى المصيبة .. الله يحرقك يا حازم .. أعمل أيه أنا دلوقت ؟! .. افرضى بعتهم لأهلي في الشرقية أو لشركة السياحة اللي أنا شغّالة فيها !! ... ده أكيد اتجنن .. أنا عملت له أيه علشان ده كله ؟! .. أنا هقتله "حازم" ده .. مش هيكفيني فيه القتل.

****

بعدما خرجت "نسرين" من مكتب "العميد حمدي " اصطحبها الرائد "أشرف" إلى مكتبه ليناقشها في القضية .. أعطاها مجموعة كبيرة من الأوراق لتقرأها احتوت على شهادات الشهود الذين أدلوا بها فى النيابة إبان مقتل "سعد" ومحاولة قتل "نسرين" .. وعلى رأس هؤلاء والداها وشهود العيان الذين عثروا عليها بعدما صدمتها السيارة، ولكنها توقفت عند شهادة أحدهم وهو

حارس الفيللا التى كان يسكنها "سعد" ويدعى " حسنين عبد العال " ... قال فى شهادته أنه لم يكن موجودًا حين توفى – المرحوم سعد – ؛ وأكّد أنه كان فى بلدته عند أهله فى ذلك اليوم ...

أخذت "نسرين" تقرأ شهادة حارس العقار مرات عدّة وهى تشعر بأن هناك ثمة خطإ ما . تشرد قليلا ثم تتذكر ليلة الحادث المشؤوم .. لا تذكر حتى الآن كيف استطاعت الهرب من ذلك البدروم الذي حبستها فيه العصابة، ولكن ما تتذكره بوضوح أنها كانت تركض نحو بيت "سعد" وهى فى حالة مزرية .. ذراعاها ينزفان وشعرها أشعث وثيابها متسخة .. وجهها شاحبُ كالموتى اعتلته ندوب وكدمات ، وإمارات الذعر بادية عليه .. تجد "عم حسنين " حارس الفيللا يجمع أغراضه وحين رآها ارتبك كثيرا .. تلقي عليه السلام ثم تصعد الدرج إلى الأعلى حيث غرفة "سعد " .. تنادي عليه .. ما من أحد يجيب، وفور أن تصعد إلى الطابق الثاني تلاحظ آثار الدماء على الأرض تصرخ وتصاب بالهلع .. ترى فوضى عارمة تعمّ المكان .. تتبع آثار الدماء فتجد "سعد " ملقًى على الأرض جثة هامدة محاطة ببركة من الدم .. تصرخ صرخة مدوية وتهرع إلى الأسفل ... تنادي على "عم حسنين " وتستنجد به بلا جدوى

وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته .. تركض نحو الشارع وتصرخ طالبة" النجدة ، ولكنها فجأة تلمح سيارة تظهر أمامها وهى تسير بأقصى سرعة . وقبل أن تهرب كانت السيارة قد صدمتها بقوة لتطيح بها بعيدا فترقد على الأرض بلا حراك .. ولم تعد ترى شيئا سوى الظلام الحالك والصمت المخيف .

عندما تذكرت ذلك روته على أسماع "أشرف" الذى عقّب على هذا قائلا :

بس يا "نسرين" أغلب الظن إن الراجل ده كدب علشان كان خايف يتورط فى قضية قتل "سعد" وقال كده بدل السين والجيم ، خصوصا إنه بواب غلبان ملوش ضهر .

- نسرين : لا يا " أشرف " أنا قلبي مش مرتاح للراجل ده .. حاسة إنه معاهم .

- أشرف : شغلنا مش قايم على الإحساس والعواطف لازم دليل .. وأدينا أهو أول لما وصل لنا بلاغ بإن "شروت" عندها فى الشاليه بتاعها مخدرات بعتنا قوات يفتشوا المكان ومع ده ملاقيناش حاجة ضدها .. تقدري تقولي لى إزاي ده حصل ؟! .. أنا هتجنن يا " نسرين " .. الست دى معجونة بمية عفاريت .. إزاي مجرمة

خطيرة زيها قادرة تخلي المباحث والمخابرات يلفوا حوالين نفسهم سنين ومش لاقيين ضدها أى دليل ؟!.

- نسرين: أنا قولت لك يا "أشرف" الست دي مش سهلة .. وصعب جدا إنك تمسك عليها حاجة، لكن اللي احنا محتاجين له طرف الخيط اللي هيوصلنا ليها .. وبواب بيت "سعد" ممكن يكون واحد منهم .. أرجوك اسمع كلامي المرة دى يمكن نوصل لحاجة.

"لوجي" تقود سيارتها بسرعة جنونية وتكاد أن ترتطم بسيارات أخرى وببعض المارة أكثر من مرة .. توقف محرك السيارة أمام أحد فنادق القاهرة .. تسير بخطوات واسعة نحو موظف الاستقبال وإمارات الغضب تبدو جلية على وجهها .. تسأله عن نزيل بالفندق اسمه "حازم السيد" فيجيبها بأنه خرج منذ ساعتين، ولكن سرعان ما لمح الموظف "حازم" وهو يخرج من سيارة أجرة ويدخل الفندق؛ فيقول لها :

" أهه أستاذ "حازم" وصل يا فندم "

قبل أن يكمل كلامه كانت "لوجي" قد اختفت من أمام ناظريه ومضت مسرعة نحو "حازم" الذى تفاجأ بصفعة قوية تنهال على وجهه قبل أن يعي شيئا مما يحدث حوله . سادت لحظة صمت

مخيف شابته مشاعر متلاطمة كأمواج البحر قطعها هو حين قال مندهشا :-

" لوجي" أيه اللي عملتيه ده ؟!.. أنتِ أيه اللي جابك هنا أصلا ؟! .. وعرفتِ إزاي مكاني ؟! ..

- لوجي: اوع تجيب اسمي على لسانك يا ندل يا حقير .. أنا مكنتش فاكرة إنك خسيس للدرجة دي .. أنت أيه يا أخى ؟! ..ده الحيوانات أحسن منك .. مش مكفيك اللي عملته فيا زمان ؟!.

رجال الأمن يهمون بالتدخل لحماية النزيل، ولكنه يشير إليهم بعدم التدخل فى الأمر، ثم سألها مندهشا :

أنا مش فاهم حاجة .. ممكن تفهمينى أنا عملت أيه غلط ؟!.

- لوجي : قول عملت أيه صح ؟! .. أنت كل حياتك غلط فى غلط .. أيه اللي خلاك تبعت الشرايط لجوزي ؟! .

- حازم : أنا والله ما أعرف حاجة عن الموضوع ده ..

- لوجي : متحلفش .. هوه أنت تعرف الله أصلا ؟ .. هتعملى فيها بريء يا سى "حازم" .

- حازم : طيب والله ما عملت حاجة .. أنا لسه واصل النهارده الساعة ١٢ الضهر .. هلحق إزاي أعمل كده ؟! .. أنا بقالي سنين

معرفش عنك حاجة وشرايطك دي مش معايا أصلا .. تصدقى وتآمنى بالله أنا مكنتش عارف حتى إنك اتجوزتي .

- لوجي : اتكتب كتابي بس ؛ وبعدين استنى هنا .. إزاي أنت وصلت الساعة ١٢ والجواب ده وصلني قبل كده ؟!. يعنى ممكن تكون الشرايط اتبعتت لجوزي امبارح .. فى حاجة غلط !! .

- حازم : شوفتي بقى إنك ظلمتيني .

- لوجي : لأن مفيش حد غيرك ممكن يعمل العملة السودا دي .

- حازم : بيتهيء لك .. طيب اهدي كده وتعالي نقعد فى مكان هادي نتكلم ، وأنا هحكي لك كل حاجة وأعرفك مين اللي عمل فيكِ كده .

****

اصطحبنى "أشرف " لأمكث بأحد الفنادق المطلة على البحر بحي سيدي بشر . حتى ننتهي من مهمتنا، كنت أشعر بالإرهاق و بات من الضروري أن أخلد إلى النوم لكي أحظى بقسطٍ من الراحة. و لأنه من المستحيل أن أعود إلى منزلي فى ذلك الوقت حتى و لو كنت متنكرة فعلى علم العصابة أنني الآن خارج البلاد و لم أعد أشكّل خطرًا عليهم و لا أمثل أدنى تهديد لمصالحهم .

استطاع "أشرف" أن يتدبر أمر الحجز باسم آخر غير اسمي كي لا يدع مجالا للشك، صحبنى حتى باب غرفتى و قبل أن يودعنى إتصل به ضابط اخر زميل له بالمخابرات العامة. بدت الجدية على ملامح وجه "أشرف" أثناء حديثه مع زميله. وبعد أن أنهى المكالمة إلتفت إلىّ و قال لى :-

- نسرين : الظاهر كده إن إحساسك طلع صح.

- نسرين (مندهشة) : إحساسي ف أيه ؟!.

- أشرف : "حسنين" البواب تقريبًا كده متورط معاهم ، عملنا تحريات عنه فلاقيناه لسه بيحرس الفيللا ، بس استني بقى و اسمعي المفاجأة ، مالك الفيللا اللي كان قاعد فيها " سعد " باعها لمدام "شروت" .

- نسرين : معقول !! . مش كفاية عليهم إنهم قتلوا "سعد" ، كمان اشتروا الفيللا اللي كان قاعد فيها.

- أشرف : اهدي يا "نسرين" ، تعالي نفكر أيه اللي خلاها تشتري البيت من صاحبه ؟. أكيد في سبب لأن "شروت" عندها أكتر من فيللا ، يعني مش محتاجة الفيالا دى علشان تشتريها.

- نسرين : يمكن فى حاجة فى الفيللا ممكن تفضحهم علشان كده اشترتها ، مثلًا دليل على قتل " سعد " أو معلومات توصل ليهم.

- أشرف : احتمال ضعيف ، لأن لو كان في حاجة من الأول أكيد البوليس كان هيكتشفها ..... استني ... مش ممكن تكون اشترتها علشان تخبي فيها المخدرات و الحاجات اللي بيهربوها و بكده تقدر تضلل البوليس .. جايز. لأن فى الوقت اللي احنا فيه بندور ورا "شروت" و فاكرينها بتستخدم مكان تانى تخزن فيه الحاجات دى مفكرناش ولا كنا هنفكر إن اللي احنا بندور عليه قدام عنينا فى بيت المرحوم "سعد".

- نسرين : و الله كلامك منطقي جدًا ، لأن المخبرين بتوعكم كانوا بيراقبوا فيللا "شروت" اللي فى اسكندرية و اللي فى القطامية و الشاليه بتاع شرم الشيخ و مفيش حد مسك عليها حاجة.

- أشرف : ادخلى أنتِ دلوقت نامي و ارتاحي و أنا هفكر فى خطة نوقعها بيها ، يالا الصباح رباح بكرة نتقابل و نتناقش سوى يمكن نلاقي حل ، تصبحي على خير.

السماء ملبدة بالغيوم و الأجواء تنبؤ بقدوم "نوة".. الشمس حجبتها سحابات داكنة .. قطرات من المطر تبدأ فى التساقط و لم يمض

سوى دقائق حتى هطلت الأمطار بغزارة وبدأت الرياح تعصف بقوة.

فى تلك الفيللا التى يجتمع بها أفراد التنظيم الإجرامي بعيدًا عن أعين الشرطة كانت "دارين " جالسة على رأس المائدة المستطيلة و حولها البقية ماعدا "شروت" التى غابت عن اجتماع الليلة .. بررت "دارين" غيابها قائلة" :-

- الليلة للأسف "شروت" مو معنا فى الاجتماع ، لأن أغلب الظن إن البوليس عم يراقبها بعد البلاغ اللي وصل له ضدها.. بحمد الله إن قلبها كان حاسس و من شان هيك حاكت "مارك" و طلبت منه يستخدم الخطة البديلة. وإلّا كنا راح نلاقي حالنا فى السجن ، أنا بدى أطمنّكم بإن كلكم فى أمان ، واضح كتير إن اللي بلغ عن "شري" عم يكرهها وهو قاصدها هي ، لا تخافوا ، كمان بدي قول إن عندي أخبار منيحة ، "نسرين يوسف" سافرت على الكويت ، يعني ما عاد بقى تيجي ، خلاص الكابوس تبعها انتهى .

- مارك : يعنى ممكن نعمل العملية الكبيرة ، خلاص مفيش قلق ، البوليس مش هيعرف حاجة.

- دارين : معك حق ، أنا كان بدى قول هيك ، دخيلك "مارك" حاكيهم عن العملية اللي عم نحكى عنها أنا واياك.

- مارك : فى تنظيم من بره مصر ناويين يفجروا منتجع سياحى فى "شرم الشيخ" هيكون فيه شخصيات مهمة ، احنا مهمتنا أننا نهرب لهم الأسلحة و القنابل اللي هيستعملوها وندخلها مصر وهنخزنهم فى الفيللا اللي " شروت " اشترتها لحد ما صحابهم يستلموها.

****

بينما "لوجي" جالسة فى حوض الاستحمام الممتليء بالماء و بعد أن باءت محاولتها للاسترخاء بالفشل الذريع. أخذت تتذكر ما حدث بعدما اصطحبها "حازم" إلى أحد المطاعم ليطلعها على الأمر فى الوقت الذي يتناولان فيه طعام الغداء.. هذه المرة استشعرت الصدق فى كلامه حين قال لها :

- أنا عارف إن اللي هقوله دلوقت هيصدمك بس دي الحقيقة ، "شروت" هى اللي عملت فيكِ كده.

- لوجي : مستحيل ، أنت كداب ، أنا بطّلت أصدقك من زمان.

- حازم : و الله ما بكدب ، دي الحقيقة. اسمعيني. أنا هحكي لك كل حاجة. من سبع سنين لما كنا أنا و أنتِ مرتبطين كان نفسي نتجوز و نخلف و نعيش فى تبات و نبات زي ما بيقولوا ؛ بس ده بيحصل فى الحكايات و الأحلام بس، روحت أطلب إيدك من أبوكِ، و طبعًا أنا مش قد المقام.. شاب على قد حاله و ظروفه صعبة وأنتِ بنت راجل أعمال كبير ليه تتجوزي واحد زيى؟. ، بهدلني و طردني من مكتبه و هددني لو قربت منك تاني هيعرفني مقامي.. أنا لسه فاكر كويس لما قال لي :. أنت فاكرني هجوّز "لوجي" بنتي الوحيدة بنت "حسام السيد" ليك أنت ؟! ، أنت نسيت نفسك ولا أيه ؟. أنت مجرد ولد فاشل و صايع و معندكش ولا شغلة ولا مشغلة ، "لوجي" بنتي هتتجوز سيد سيدك ابن أخويا ، تقدر تقول لي هتجيب مهرها إزاي ولا هتقدر تعيشها فى المستوى اللي هيا عايشه فيه ، بلاش. مش هقولك تقدر تجيب لها فيللا ولا عربية زي اللي هى راكباها. بس يا ترى تقدر تجيب لها شقة محترمة تسكن فيها ؟! ، مستحيل طبعًا ولا حتى بعد تسعين سنة".

- لوجي : أنت عمرك ما حكيت لى الكلام ده قبل كده ولا حتى بابا قال لي !!

- حازم : مرضيتش أضايقك. وبعدين عندك أبوكِ روحي و اسأليه لو مش مصدّقة ... بعدها كنت منهار و مش عارف إزاي أجيب فلوس علشان أدفع مهرك و اشتري لك الشقة. روحت عند "شروت" على أساس إنها صاحبتنا و أقرب واحدة ليك قلت أحكي لها على اللي جرى و أشاورها ، قالت لى :

" انا ممكن أسلفك مبلغ تجيب بيه الشقة بس هتكتب لى بيه شيكات و تشتغل ليل نهار علشان ترجع لي المبلغ.

بس أنت بتقول إن أبوها عايز يجوزها لابن أخوه ، يعني حتى لو بقى معاك الفلوس مش هيوافق ، علشان كده أنا عندى فكرة جنان، هتحطوا بيها أبوها قدام الأمر الواقع ، يعنى تكتبوا ورقتين عرفي و تدخل عليها وساعتها هيضطر يوافق علشان تصلح غلطتك و متنساش إنه راجل أعمال مشهور بيخاف على سمعته و مش عايز شوشرة".

- لوجي : "شروت" هي اللي قالت كده ؟! .

- حازم : و ديني ده اللي حصل ، دي حتى قالت لي إنها هتساعدني أعمل كده و قالت لي كمان :

أنا عارفة "لوجي" ممكن ترفض علشان كده اوع تحكي لها أي حاجة من الكلام اللي أنا و أنت قولناه. و فى ليلة رأس السنة يعني كمان أربع تيام هتيجي أنت وهي مع باقي صحابي علشان نحتفل. لازم تخليها تشرب كتير لحد ما تبقي سكرانة طينة، هجهز لكم أوضة فاضية وأنت خدها واطلع هناك والباقي عليك يا بطل.

- لوجي : آه يا بنت ..... أنا تعملي فيا كده.

- حازم : بعد أسبوع من الفضيحة اللي حصلت ظهر الوش التانى بتاع "شروت" اكتشفت إنها صورت كل حاجه . مش عارف ليه كانت بتكرهك أوي بالشكل ده ؟!. كانت بتستمتع لما تشوف الذل فى عنيكِ وبتحب تكسرك بأي طريقه علشان كده فضلت تساومني بالشريط بتاعنا وبالشيكات اللي قيمتها ربع مليون جنيه. و كانت بتجبرني أقول لك على حوار الشرايط وأبتزك وأذلك.. وأنا اضطريت أسمع كلامها لأني خفت تحبسني وتسلم الشرايط لأهلك أو بوليس الآداب .. أنا عارف إني غلطان من الأول بس الأسوأ إني كملت الغلط ده بغلطات أكبر منه كلها أبشع من بعضها .

- لوجي: ده مش مبرر للى أنت عملته . أنا عمري ما هسامحك .

- حازم : أنا عارف. أنا غلطت فى حقك كتير أوي . وهتبقي وقاحة مني لو طلبت منك كده . بس أنا عندي عشم كبير فيكِ .

- لوجي : طيب ليه ماقلتليش ؟! وإزاي هنت عليك ؟ .. أنا مش قادرة أفهم . أنا كنت بحبك أوى يا "حازم" و كان حلمي الوحيد إني أبقى مراتك أم عيالك. ليه حرمتني من الحلم ده ؟! ليه ؟! .

- حازم : مش عارف. كنت خايف منها . أنتِ مجربتيش يعني أيه تبقي فقيرة وضعيفة ؟.

- لوجي : ملعون أبو الفقر اللي يعمل فى أصحابه كده.

- حازم : أنا اضطريت أجاريها و أسمع كلامها. تصوري خلتني اشتغل مع ناس فى التهريب علشان أسدد ديوني. كنا بنهرب حاجات من الجمارك و ممنوعات. وبالصدفة عرفت إن " شروت" هي الكبيرة بتاعتهم . وفي يوم اتقتل واحد زميلى برصاصة وكان جنبي. يعني كان ممكن أنا اللي أموت، ساعتها رفضت أشتغل معاها تاني. ولما هددتني قررت أسافر أمريكا علشان أهرب منها ، فضّلت إنك تكرهيني على إنها تأذيكِ.

- لوجي : كنت بتعمل أيه فى امريكا السنين دي كلها ؟!

- حازم : كنت بشتغل علشان أجمع فلوس و أرجع أنتقم منها. بس وأنا قوي لأني عارف عنها معلومات توديها لحبل المشنقة . و أنا فى امريكا كنت بتواصل مع واحد هنا في مصر عارفها وبيكرهها لأنها اللي كانت ورا موت أخوه و عايز ينتقم منها.

- لوجي : قصدك أنه اخو جوزها اللي كان عضو فى مجلس الشعب واتقتل .

- حازم : أيوة عليكِ نور ، قدر يعرف إن معاها مخدرات فى الشاليه بتاع شرم الشيخ فبسرعه بلغ البوليس عنها.

- لوجي : معقول اللي بتقوله ده يا حازم !! هى حصلت القتل قصدك إن "شروت" قتلت جوزها؟

- حازم : مش بالظبط . بس بعتت اللي يقتله لأنه كشفها. لأ واستني هقولك الكبيرة بقى ، فاكرة "نسرين" اللي ماتت فى حادثة عربية " وسعد " صاحبها اللي مات بقطع شرايينه . غالبًا هى والعصابة اللي قتلوهم.

- لوجي : أنا مش مصدقة أيه اللي بسمعه ده ؟! .... استنى ... آه ... أنا فهمت علشان كده لما عرفت إن "نسرين" لسه عايشة كانت هتجنن و بعتتني أقابلها و أشوفها فاقدة الذاكرة ولا لأ.

- حازم : هى "نسرين" لسه عايشة؟ إزاي ؟

- لوجي : كانت فى غيبوبة وفجأة صحيت وكانت فاقدة الذاكرة .. دي قصة طويلة أوي.... يا خبر طول المدة دي أنا كنت ظالمة "نسرين".. كنت فاكرة زي ما "شروت" فهمتني إنها بتكرهني و إنها عايزة تخدك مني و بتخون "سعد" معاك و إن أنتم متفقين عليا.

- حازم (ضاحكًا) : مش ممكن هي فهمتك كده ؟!.

- ثم يردف قائلًا :- بس اللي أنا مش فاهمه ليه بعتت الشريط لجوزك؟!.

- لوجي : أنا هقول لك ليه . لأني شوفت عندها شنطة مخدرات فى الشالية بتاعها ، أكيد افتكرت إني بلغت عنها فحبت تنتقم مني .

- حازم : هي بطبعها بتحب تمسك ذلة على كل اللي حواليها علشان يوم ما تنكشف قدامهم يخافوا يبلغوا عنها ... بس هانت كلها يومين بالظبط و هجيب قرار العصابة دي و هوديهم لحبل المشنقة، أنا أصلا جيت علشان كده .

فى جنح الليل بعد أن جاوزت عقارب الساعة الثانية عشر .. وعلى الحدود الشرقية لمصر مع فلسطين. مجموعة من المهربين يقفون

فى وسط الصحراء فى الظلام الحالك ليضعوا صناديق خشبية احتوت على المتفجرات فى سياراتهم وهم يلتفتون حولهم من حين لآخر خشية أن يكتشف رجال الشرطة أمرهم ويلقون القبض عليهم وهم متلبّسين.. أحد الرجال يحذر الآخرين ويطلب منهم أن يحملوا الصناديق بحذر شديد كى لا تنفجر...

فى ذات الوقت تخرج "لوجي" صورها القديمة بصحبة "حازم" والخطابات العاطفية التي أرسلها لها منذ سنوات وكانت لا تزال تحتفظ بها فى صندوق خشبي غلّفه الغبار حيث لم تفتحه منذ زمن مضى ..

****

وفى صباح اليوم التالي اصطحب "ماجد" طليقته "مها" إلى مكتب المأذون الشرعي ليعقد قرانهما من جديد ، لتدوي بعد ذلك زغاريد الأم و" ريم " و الجارة "صفاء"..

فى الوقت نفسه تتلقى "شروت" اتصالًا هاتفيًا بينما كانت تحتسي فنجانًا من القهوة فأجابت قائلة :-

أيوة يا "دارين" ... كله تمام .. كويس أوي. طيب بصي. خليهم يجيبوا الحاجة فى المكان اللي أنتِ عارفاه. ماشي أنتِ متأكدة إن مفيش خطر علينا . أصل انا مش مرتاحة.

لم يزل رجال الشرطة يراقبون بيت المرحوم سعد - فيما مضى – والذى اشترته "شروت". أما "حازم" و "لوجي" فلم يضيعا وقتا قط ولم يدخرا جهدهما فى محاولة معرفة بقية أعضاء التنظيم. كذلك لم تتوان "نسرين" عن مساعدة الرائد "أشرف" والعميد "حمدي".

لم يمض سوى يوم واحد حتى لاحظ رجال الشرطة حركة غريبة أمام البيت الذى سكنه "سعد".. وقفت سيارة (نصف نقل) تحمل مجموعة من الإصيصات الفخارية - التى زرعت فيها الورود - أمام بوابة الفيللا.. "عم حسنين" الحارس يفتح الباب فتدخل السيارة إلى الجراج وتختفي عن أعين رجال الشرطة، ثم يبدأ المجرمون فى إزالة النباتات وإخراج الصناديق المخبأة أسفلها...

سيارة ملاكي تدخل هي الآخرى بنفس الطريقة وما إن توقفت حتى خرجت منها "شروت" التى كانت تجلس على أرضية السيارة كي لا يراها المخبرون الذين يراقبونها.

فى تلك الأثناء يتصل رجال الشرطة بالرائد "أشرف" الذى أمرهم بمحاصرة المكان فى الحال وإلقاء القبض على جميع من فى الفيلا وتفتيشها وطلب منهم أن يتوخوا الحذر لأن من المؤكد أن هؤلاء المجرمين مسلحون.

الشرطة تحاصر المكان وتطلب منهم تسليم أنفسهم.. "شروت" تصاب بالذعر وترفض التسليم ثم تأمر رجالها بإطلاق النيران على الشرطيين .. أجواء تشبه الحرب تسيطرعلى المكان .. الرصاص يتطاير فى الهواء كحجارة أصحاب الفيل ليخترق كل ما يصادفه ..

لم يجد رجال الشرطة بدا من أن يتصلوا بزملائهم ليطلبوا الدعم بأقصى سرعة ممكنة بعدما أصيب عدد كبير منهم ووجدوا أنفسهم فى موقف حرج، وسرعان ما وصلهم الدعم ..

مرت ساعة وكلا الطرفين لم يتوقف عن تبادل إطلاق النيران .. الشرطة تطلق وابلا مكثفا من الرصاص على وكر المجرمين. وقبل أن تدرك "شروت" عاقبة قرارها الأهوج بإطلاق النيران كان حريقا كبيرا قد شب فى الفيلا ؛ ولم تمضى سوى لحظات حتى سمع الجميع صوت انفجار هائل دوّى فى المكان وعصف

بالفيللا وجميع من فيها وحوّلهم إلى جثث متفحمة وأشلاء بشرية. ولحسن حظ رجال الشرطة أنهم كانوا على مسافة ليست بقريبة من الانفجار وعندما وقع انبطحوا لفورهم على الأرض فلم تحدث بينهم خسائر فى الأرواح .

وسرعان ما وصلت الأنباء المفجعة إلى "دارين" و"مارك" وما تبقى من أعضاء التنظيم الذين نجوا بأرواحهم من المصير البشع الذى لاقاه زملاؤهم هنالك... اجتمعت بهم "دارين" فى الوكر الذى اعتادوا على الاجتماع فيه.. قالت لهم والهلع يبدو عليها رغم محاولاتها المستميتة لإخفائه:-

- شو هالمصيبة ؟!. صار لازم نهرب من هون. البوليس راح يكشفنا . ليكوا أنا مستحيل فوت ع الحبس . بموت وما بعملها .

- مارك: مستحيل نقدر نهرب برة مصر بطريقة شرعية لأن ممكن يتقبض علينا. محدش عارف البوليس يعرف عنا أيه؟.

- دارين: راح نهرب عن طريق البحر ولما نصير بعاد عن مصر راح تجينا طيارة هليكوبتر تخدنا بعيد من هون.

****

"لوجي" تهلل فرحة وهي تمسك بيد "حازم" بعد أن أطلعها لفوره على ما حدث. تقول له والسعادة تبدو على وجهها :-

- أخيرا "شروت" أخدت العقاب اللي تستحقه.

- حازم : فاضل خطوة كمان . أنا عرفت معلومات خطيرة.

- لوجي : معلومات عن أيه ؟.

- حازم : عن باقي أفراد التنظيم وكمان عرفت إنهم ناويين يهربوا عن طريق البحر. بس مش عارف إمتى هيهربوا ؟ وهيروحوا على فين ؟.

- لوجي : طيب يالا بلّغ البوليس بسرعة قبل ما يهربوا .

الرائد "أشرف" يعود إلى مكتبه - حيث تنتظره "نسرين" - والبشر يبدو على وجهه.. ويقول لها :-

خلاص يا "نسرين" فات الكتير وما بقيش غير القليل . الحمد لله قدرنا نحبط عملية تفجير كانوا ناويين يعملوها تقريبا فى شرم الشيخ وده كله بفضل ربنا ثم بفضلك أنت وبفضل المعلومات اللي وصلتنا من مجهول ..

(لم يعلم كلاهما أن هذا المجهول هو حازم)

ويردف قائلا :

على فكرة "شروت" ماتت فى الانفجار. المعمل الجنائي قدر يتعرف على جثتها رغم إنها كانت متفحمة تماما.

- نسرين: يا ساتر يا رب . المهم طمني الظباط والعساكر اللي كانوا هناك حصل لهم أيه ؟.

- أشرف : فى عدد منهم اتصابوا بس الحمد لله مفيش خساير فى الأرواح .

- نسرين: طيب. الحمد لله . طمنتني الله يطمن قلبك .

أشرف: بالمناسبة دي هعزمك على أكلة سمك وجمبري تجنن .

بعد أن فرغنا من تناول طعام الغداء تلقى "أشرف" اتصالا من العميد "حمدي" يبلغه فيه بالمعلومات التى أرسلها إليهم شخص مجهول يخبرهم فيها عن أسماء القلة المتبقية من أفراد العصابة وعن خطتهم للهرب..

غادرنا المطعم مسرعين، ثم أوصلني "أشرف" إلى الفندق الذى أقيم فيه حاليا؛ وأسرع ليتتبع باقي الفريق الذي يحاول الهروب.

****

عندما أسدل الليل أستاره وقفت سيارتان أمام أحد شواطيء البحر المتوسط غير المأهولة والواقعة على طريق الأسكندرية / مرسى مطروح .

تخرج من إحداهما "دارين" وبصحبتها "مارك" ثم يتبعهما رجال آخرون مسلحون .. يتوقفون أمام البحر حيث وقف قارب صيد فى انتظارهم لينقلهم بعيدا عن أنظار خفر السواحل إلى حيث تحملهم الطائرة الهليكوبتر خارج حدود مصر.

لم يخطر ببالهم أن الشرطة تلاحقهم منذ أن كانوا يسيرون بسياراتهم الفارهة على الطريق الصحراوي.. فجأة يسمعون صوت سيارات الشرطة التى تحاصرهم وتطلب منهم تسليم أنفسهم.. يركبون القارب بسرعة فى محاولة يائسة للهرب، ولكن سرعان ما لحق بهم خفر السواحل بعد أن تلقوا إشارة عاجلة تأمرهم بالقبض على هؤلاء.

"دارين" تقفز إلى الماء البارد محاولة الهرب سباحة، وبالطبع فشلت فى ذلك فلم تتحمل عار القبض عليها لذا أطلقت النار على نفسها لتنجو بنفسها من الموت شنقا. أما "مارك" فقد آثر الاستسلام بعد أن رأى أنه لا مفر. وفى النيابة اعترف بكل شيء.

وفى صباح اليوم التالي تصدرت الصحف أنباء القبض على التنظيم الإجرامي واعترافات "مارك" بقتل "سعد" ومحاولة قتل

"نسرين" أكثر من مرة وبكل ما ارتكبته المنظمة من جرائم ونشرت أيضا كيف صرح "مارك" لهم قائلا :-

أنا تعبت وزهقت من العيشة دي. يا ريتني كنت انتحرت زي "دارين".

****

أجمع متعلقاتي الشخصية وأضعها فى حقيبتي لكي أشد الرحال إلى الكويت بعد أن جعل مني الإعلام معجزة وبطلة قومية.. كنت فيما مضى أخشى ملاحقة المجرمين لي أما الآن فقد أصبحت ملاحقة من قبل الصحفين والإعلامين وكل فرد يسعى جاهدا إلى مقابلتي!! .

تلقيت اتصالا هاتفيا منذ قليل وكانت والدة "سعد" هى المتصلة. أخبرتني بأنها قرأت الجرائد اليوم وعلمت بما حدث.. شكرتني كثيرا لأني رددت إلى ابنها اعتباره بعد أن اعتبره الجميع أنه مات منتحرا بسبب خلاف مع حبيبته تماما كمراهق طائش . وها هي تستطيع الآن وبكل فخر أن ترفع رأسها عاليا وتقول :- أنا أم البطل الشهيد "سعد" الذى قتل من أجل الوطن.

أتصفح البريد الإلكترونى الخاص بي قبل أن أذهب إلى المطار. أجد رسالة اعتذار أرسلتها لي"لوجي" لتعتذر عما بدر منها فى حقي وتروي لى ما فعلته الشيطانة "شروت" التي رحلت عن عالمنا.. وكيف أن "حازم" أرسل تلك المعلومات فى الوقت المناسب لينتقم منهم. ثم أخبرتني بأنها سافرت إلى أمريكا برفقة "حازم" بدون علم أهلها لكي يتزوجا أخيرا ويعيشا هناك.

تبسمت حين قرأت تلك الرسالة وشعرت بالرضا فها هي الأمور تعود إلى وضعها الطبيعي. يبدو أن تلك الأخبار قد وصلت إلى الكويت لأني تفاجأت بوالديّ يتصلان بى ليطمئنا علي ويخبراني أنهما فخوران بي وأنهما سيكونان فى انتظاري اليوم فى المطار..

بعد أن أوصلتني السيارة الأجرة - التي استوقفتها - إلى المطار شعرت وكأن قلبي قد انفطر. صحيح أنني اشتقت إلى أهلي وأنني أرغب فى الهروب من الصحفيين إلاّ أن شيئا بداخلي أرادنى ألاّ أسافر. ودّعت صديقتيّ "ريم" و "مها" وأسرتيهما قبل أن أسافر، ولكني حقيقة لم أستطع أن أودّع "أشرف" أو حتى أواجهه بأنني أنوي السفر .

أنا لا أعرف لماذا تعلقت به إلى هذا الحد ؟! .. هل يعقل أنني واقعة فى حبه ؟! .. يالحظي العاثر !!.

يبدو أن فراق الأحبّة مكتوب عليّ . حين صعدت إلى الطائرة وجلست على المقعد المخصص لى أخذت أحدق فى الأفق قبل أن تقلع الطائرة وأنا شاردة أستعيد ذكرياتي معه منذ أن التقينا من جديد بعد كل تلك السنوات. ترقرقت دمعة فى عيني حين فكرت فى أني لن أراه مجددا . ولكن فجأة شعرت بأن شخصا ما قد جلس إلى جواري فالتفتت لأرى من هو ولدهشتي كان "أشرف". أخذت أحدق فيه للحظات وأنا لا أصدق ما رأته عيناي. أما هو فقد قال لى ضاحكا :

- نسرين !!. أيه الصدفة الجميلة دي ؟.

- نسرين: والله . صدفة برضه !!.

- أشرف: بصراحة لأ.

- نسرين: ما دام لأ. طيب أيه اللي جابك ؟!.

- أشرف خجلا: أصل العميد "حمدي" عايز يقول لك إن الداخلية عايزة تكرّمك.

- نسرين ضاحكة: ما أنا عارفة . كلمني النهارده وقال لي... يعنى أنت قاطع تذكرة مخصوص علشان تقول لي الكلام ده ؟!.

- أشرف: لأ طبعا.

(يصمت قليلا وينظر إلى الأرض خجلا ثم يردف قائلا :-

نسرين: أنا يشرفني آجي أطلب أيدك للجواز من أهلك فى الكويت . قلتِ أيه؟!.

- نسرين وقد تهللت أساريرها :-

أخيرا نطقت يا أشرف ... طبعا موافقة.

ثم ضمنا بعد ذلك عناق طويل .. أشعر بأني غير قادرة على التفكير وأن رأسي فارغ تماما ؛ ولكن ما أعرفه أن " أشرف" يجلس إلى جواري الآن وأنه طلب الزواج .. أحس بأن قلبي يحلّق من فرط السعادة كما تحلق تلك الطائرة وسط الغيوم .

أعتقد أن آخر عهد لى بالمصائب قد ولّى وآن الآوان لأحيا حياة طبيعية .. وعلى الرغم من أن هناك أشياء عديدة لازلت لا أذكرها وهناك عشرات الأسئلة لا تزال تدور فى عقلي ولا أجد لها إجابة. إلاّ أنني لم أعد أهتم بكل ذلك .

لا أستطيع أن أصف قدر سعادتي الآن وقد حظيت بالنهاية السعيدة التى طالما حلمت بها. فقد رحب أهلي بزواجي من "أشرف" وأظن أننا سنعقد القران عما قريب ونذهب لقضاء شهر العسل فى جزر هاواي أو أي مكان نكون فيه بعيدين عن متاعب الحياة.

النهاية
تمت بحمد الله
٢٠١٠/١٠/١م